

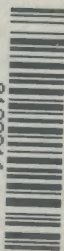
قسم المخطوطات

مكتبة

الاسكندرية



Bibliotheca Alexandrina



0128816







# فلسفة الحقوب

بحث في التربية الأخلاقية

«وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَاقْبُوا»

بِشَيْءٍ مَا عَوْقِبْتُمْ بِهِ

وَلَكِنْ صَبَرْتُمْ لَوْ كُنْتُمْ

فَعَابِرِينَ

فَرَأَى كَرَمَ

مؤلف

محمد بن عبد الله

أستاذ التربية في جامعة القاهرة

وفلسفة الأخلاق في جامعة القاهرة



General Organization for Scientific Research

Library (General)

Bibliothèque Générale

370-114

رقم التصنيف

ع. ق. ف.

رقم التصنيف

٧٠٦٧

رقم التصنيف

١٩٢٢ - ١٩٥٠

المكتبة الوطنية - القاهرة



# اهداء الكتاب

الى ثلاثة معاهد علمية ، أنا مدين لها بكل ما فى نفسى من  
أثر ، وفى عقلى من تثقيف ، أهدى كتابى هذا . تلك هى :

( ١ ) دار العلوم ، بالقاهرة

( ٢ ) جامعة الجنوب الغربى لانيجلترا با كستر

University of the South West of England.

( ٣ ) الكلية الماسكية بجامعة لندن

King's College, University of London.

فان يكن فى هذا الكتاب رأى سديد ، أو بحث مفيد ، أو  
فكرة جديدة ، أو نقد حكيم ، فالفضل فى ذلك كله الى هذه  
المعاهد التى أحسن الى أساتذتها أيما إحسان .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله ولى النعم ، وللصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذا بحث فى « فلسفة العقوبة » مهد له اشتغالى بتدريس فى « دار العلوم » و « قسم التخصص » ورغبى فى نشره أن يسهل تداوله بين الطلاب من جهة ، وأن يطلع عليه القراء من جهة أخرى . ذلك أنه لا يكاد يخلو أب ، أو معلم ، أو أم مثقفة ، أو ولى أمر عهد اليه بشئون صغير أو صغيرة ، من التفكير فى هذه المعضلة الأخلاقية ، معضلة العقوبة . وكثيراً ما سمعنا صوت الشكوى يتردد بأن العقوبات غير مجدية ، وبأن الأطفال قد بلدوا لها . وفى رأى أن جهلنا بمعنى العقوبة وأغراضها ، وطرق تنفيذها هو السبب المباشر فى اخفاقنا فى التربية الخلقية . لهذا قصدت بهذا البحث أن أخرج للطلبة الذين يعنىهم هذا الموضوع أولاً ، وللمعلمين ثانياً ، وللآباء والامهات ثالثاً ، ولغيرهم



من يشوقهم الاطلاع آخرًا - فمكرة عن العقوبة وما يتصل بها .  
وقد تطلب هذا أن أبحث أولاً في الذنب الذى من أجله فكرنا في  
العقوبة . لذلك بدأت بالكلام في الشرور الأخلاقية، مفرطاً بينها  
و بين الشرور القانونية ؛ ثم تكلمت في العقوبة ومذمتها، وأغراضها،  
والمذاهب المختلفة فيها، والقواعد الأساسية التى يجب أن يحافظ  
عليها المعاقب . ثم تكلمت في المسئولية وآراء العلماء قديماً وحديثاً ؛  
ثم انتقلت الى « العفو » الذى هو فى الحقيقة صورة من صور العقوبة .  
وختمت البحث بالكلام فى آراء بعض الفلاسفة فى العقوبة وخاصة  
العقوبة الطبيعية على ما ذكره فيها كل من روسو وسبنسر .

وليس هذا الكتاب فى الحقيقة إلا جزءاً من كتاب كبير فى  
« علم الاخلاق » قد فرغت من كتابته منذ زمن، وأرجو أن أوفق  
الى تقديمه للطبع قريباً إن شاء الله تعالى (١)

واننى أتقدم بالشكر الى زميلى الفاضل الاستاذ عبد الجبار

معوض زيرهم ، على معاونته لى فى مراجعة هذا الكتاب قبل  
تقديمه للطبع وعلى عدة اقترحات سديدة انتفعت بها

محمد صبرى عطوم

١٠ ذى الحجة ١٣٥٠

١٦ ابريل ١٩٣٢

(١) قد طبع هذا الكتاب عدة طبعات مدرسية تداولها الطلاب وبعض  
الاصدقاء .

# الفصل الأول

## الشرور الأخلاقية

نموذج

للحياة الأخلاقية ناحيتان : ناحيتها الإيجابية ، من حيث هي نمو وارتقاء نحو حسن الخلق وكماله - من حيث هي جهاد نحو الفضيلة للوصول إليها ، وقد بحثنا هذه الناحية في موضع آخر (١) .

وناحيتها السلبية ، من حيث هي حيدة عن الطريق السوى ، وتتمحور نحو الرذيلة . وبعبارة أخرى : أن عمل الأخلاق يتألف من أمرين : أحدهما أن يرسم طريق الفضيلة ويضع المثل العليا داعياً من أول الأمر إليها ، ثانيها أنه إذا ألقى الجماعة لم توفق إلى سلوك هذه السبيل أخذ بيدها لينقلها من الوعدة التي ارتطمت فيها . وهذه هي الناحية التي سنغنى ببحثنا هنا .

---

(١) في الأخلاق العملية ، الجزء الثالث من كتاب الأخلاق الذي أشرت إليه في المقدمة .

ان الحياة الاخلاقية لاي فرد من الافراد يمكن أن تعتبر عالماً نفسياً تخضع له رغباته . فاذا كان هذا العالم ضيقاً محدوداً ، كالمحب النفس مثلاً ، كانت رغبات صاحبه وكذلك أعماله تابعة له ، لا تصدر الا عن كل ما هو متصل بالنفس . واذا كان العالم النفسى أوسع من ذلك ، كأن يكون عالم حب المرء امرته ، أو وطنه ، أو الانسانية جمعاء ، كانت رغباته وكذلك أعماله تابعة له . فالعالم النفسى الذى يعيش فيه المرء بمحدد رغباته ويعينها ، وهو بعبارة أخرى يوضح لنا المستوى الاخلاقى الذى يعيش تبعاً له ، أو المقياس الاخلاقى الذى يقيس به أعماله .

اتضح لنا اذن أن هذا العالم قد يكون ضيقاً ، وقد يكون واسعاً شاملاً . وهو فى معظم الاحوال البشرية ضيق ضيقاً كافياً لاجراج كثير من المصالح البشرية من اعتبار صاحبه . وهذا الضيق منبع للنزاع والصراع الاخلاقى ، اذ يظهر الخير الشخصى بمظهر المعارض للخير العام للانسانية .

ويرى بعض العلماء أن ليس فى الوجود من يبحث عن شيء لا يعتقد أنه خير (١) : فالشر لا يُسمى وراده من حيث هو شر ،

(١) راجع بحث الميول الانسانية وأقسامها فى الجزء الاول من كتاب الاخلاق للمؤلف .

بل من حيث هو خير تحت ظرف من الظروف الخاصة. ولكن الخير الذي يسعى اليه ليس الا الخير الذي للعالم الذي يتعلق به في لحظة بعينها. وليس من الضروري أن يكون ذلك خيراً للمرء نفسه - سواء في لحظة بعينها أو مدى الحياة، ولا أن يكون من باب أولى خيراً للجماعة البشرية. فربما كان خيراً لعالم ضيق جداً، علم رجل لا يبتل جهداً مطلقاً للوصول الى الحرية الاخلاقية، رجل يظل أسير شهواته وميوله الحيوانية، مفضلاً العبودية السهلة على الحرية المجتهدة.

على أن من الحالات ما تكون فيه معارضة الخير العام غرضاً يسعى اليه عمداً، حالات أولئك الافراد الذين يناصبون الجماعة العداء، وينازلون المجتمع، ويخاصمونهم قائلين مع شيطان «ملائن»: «أهذه الشر كن خير مراعى» (١).

أو مع الشاعر العربي:

إذا أنت لم تنفع فضر، قائماً

يرجى الفنى كما يضر وينفعا

ان الواجبات الاجتماعية تبدو خطراً دائماً يتهدد كل فرد

(١) "Evel, be Thou my good."

لم يوفق بين خيره وخير الجماعة البشرية التي يعيش فيها ، ولم يقتنع بأنهما خير واحد لما مظهر ان ليس غير . وهو في مثل هذه الحالة أقرب الى أن يشهر سلاحه في وجه تلك الواجبات ، من أن يضحي بما يسميه خيره الشخصي . وهو لا يستطيع أن يطرح هذه الواجبات كما يستطيع أن يطرح خيرات أخرى خارجة عن خيره . لان الواجبات الاجتماعية دائرة أوسع ، فهي تشمل نفسه ولذلك لا يجد له مناصاً من إحدى نتيجتين : إما أن يوفق بينها وبين نفسه ، وإما أن يعلن الحرب عليها (١) ، بخلاف حالة المعارض بين خيره هو وخير جزئ آخر ، فانه قد يكتفى باهماله واطراحه كما أشرنا ، من غير مناوأة ايجابية ، ولا عداء صريح . وقد لا تصل تلك الخصومة مع المجتمع الى الحد الذي عبر عنه ملتن ، على لسان شيطانه ، أو الشاعر العربي ، ولكننا نرى صورة مصغرة من تلك الخصومة فيما يتممه الأطفال من الافساد ، إذا هم شعروا بتلك المعارضة بين ما يسمونه خيرهم ، وخير غيرهم . وكذلك فيما

(١) الناس من حيث علاقتهم بالمجتمع أصناف ثلاثة : (١) الرجل العادي وهو الذي يخضع للمجتمع ونظمه . (٢) المبري المصلح وهو الذي يرتفع عاله النفسي عن مجتمعه ويأبى الا ان يدعو المجتمع الى مستواه . (٣) الشريد المجرم وهو الذي ينحط عاله عن مجتمعه ويتاثر الجماعة البشرية فتتفهم من حظيرتها في صور مختلفة . راجع في الجزء الاول من كتابنا « الاخلاق » البيت الاجتماعية .

شاهده في الناس من ميل الى ترويح النفساجتماعية .  
كأنما يقول الفرد حينذاك :

« إذا مت ظلماً فلا نزل القطر ! »

وإذا نحن أغضينا عن هذه الحرب على المجتمع ، ألفينا حتى  
أفضل الناس يظهرون في بعض الاحيان نقائص تتصل بنوع العالم  
الذى يعيشون فيه . وكلما كان ذلك العالم أضيق كانت تلك النقائص  
أظهر . وهذا هو ما يطل لنا الهنات التى كثيراً ما تبدو على رجال  
من أشد الناس تمسكاً بالفضيلة . أما الخلق الضعيف فليس له نقائص  
معينة ، فهو يتدفق على غير هدى ، وينتقل في حدود « عوالم »  
كثيرة ، من غير أن يحل بواحد منها فهو لا يخرج من العوالم الا  
قليلاً ، لانه لا يحتمل منها إلا قليلاً . انه كالخرباء يتلون بلون كل  
عالم يتصل به . ومثل هذا الشخص لا يخالف القوانين الاجتماعية  
مخالفة عنيفة ، فهو من غير أن يعتمد خطأ مخطئاً ، وهو لا يسعى  
الى غاية بعينها ، خيرة كانت أو شريرة ، بل تسوقه الريح حيث  
هبّت ، ويجتذبه التيار أينما سار ، من غير حاجة الى دقة فى الملاحظة  
لتفسير سفينته . وعلى مثل هذا ينطبق المثل القائل : « مالة العيش  
الا للسجانيين . » وقول المتنبي : « وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم »  
أما الرجل الذى فى أخلاقه قوة فى ناحية من النواحي فانه  
يصحبه عادة ضعف فى بعض النواحي . فالعالم الذى يعيش فيه

ذلك الرجل عالم محدود متمايز عما عداه ، وهو من أجل ذلك يخرج  
عالم أخرى هي عناصر في الحياة الاخلاقية الكاملة : فنحن نرى  
الشاعر المفلق ، رقيق الاحساس ، دقيق الوجدان ، مليئاً بالافكار  
والالهامات العالية ، ولكنه كثيراً ما يكون ضعيف الارادة ،  
ضعيف الانتباه الى بعض التقاليد المرعية عرفاً أو أخلاقاً . ولقد  
يكون المصلح الاجتماعي غافلاً عن ضعف نفسه . وكثيراً ما يكون  
الرجل الذي يتصدى لحل المضلات العامة عاجزاً عن حل مضلاته  
البيئية ، « كسقراط » الذي جلب لأمسته شهرة أكثر مما  
جلب لها خيرا (١) .

لذلك كان من الواجب لدى الحكم الاخلاقي على شخص من  
الاشخاص ألا تنفق عند ما قصر عن أدائه ، بل أن نبحث فيما قام  
به وفيما حاول النهوض به وان لم يوفق . يقول أكنم بن صفي :  
« لا تمنعكم مساوئ رجل من ذكر محاسنه . » ويقول كزليل :  
« نسلم بأن السفينة قد وصلت الى المرفأ مقطعة أحيالها ، فدليل السفينة  
معلوم . ولكنه ليس عليا بكل شيء ، ولا قديراً على كل شيء .  
فلا يد أن تجربنا ، قبل أن نعرف كيف يلام ، هل كانت  
رحلته حول الكرة الأرضية ، أم انها لم تزد على رحلة قصيرة  
الى رمز كيت . » (٢)

(١) كذا كانت تقول له زوجته . (٢) هذه ال « ك » تنطق جيماً معربة  
وأسماها كلها ووردت جيم اجتية غير مطعنة

ان خطايا المرء ظل فضائله ؛ واذا كانت الحياة الكاملة تحلو من الخطايا ، فان تلك الحياة غير محققة على وجه الأرض لغير الانبياء والمرسلين . وما دام المرء لا بد له أن يزل ، فان رذائل أفضل الناس ليست أفضل الرذائل ؛ وانما هي على العكس أرذل الرذائل . وهذا هو معنى العبارة المشهورة : « حسنات الأبرار سيئات المقربين »

## أنواع الشرور الاخلاقية

« الفروع بين الرذيلة والخطيئة والجريمة »

### الرذيلة :

ان الشرور الاخلاقية يمكن النظر اليها من ناحيتين متقابلتين : من الناحية الداخلية ، أو من الناحية الخارجية — من جهة أنها قنائص في الخلق ، أو من جهة أنها قنائص في السلوك . فبالاعتبار الأول توصف بأنها رذائل ؛ اذ الرذيلة هي الصفة التي تقابل الفضيلة ، فكما وصفنا الخلق في حالة كماله بالفضيلة ، نصفه في حالة نقصه بالرذيلة . وبالاعتبار الثاني تسمى الشرور الأخلاقية خطيئة أو جريمة <sup>(١)</sup> .

(١) قال في القاموس : الرذيلة ضد الفضيلة ، والخطيئة الذنب ، والجريمة الذنب أو الجنابة . وهذه المانئ القوية تكاد تتفق والمعانئ الاصطلاحية . وتتفق في أصل اشتقاقها واشتقاق الكلمات التي تقابلها بالانجليزية :

Vice, sin, crime.



وان الناحية الداخلية لأفعل وأعم من الخارجية ، لأن  
صبة الخلق الباطني ينذر ألا تصبغ بلونها أعمالنا الخارجية ، مما  
أمكن أن تستتر ، وهما بقيت غير بارزة في صورة عملية :  
ومهما تكن عند امرئ من خليقة ،

وان خلفا تخفى على الناس ، تعلم  
ولقد جعل الاسلام للشر في القلب من الخطر ما جعل للشر في  
الفعل ؛ بل هو قد جعل مناط الخير والشر القلب دون الفعل :  
« ~~مَنْ كَانَ يُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِهِمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ~~ » (١)  
« ~~أَمَّا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ~~ ، وأما لكل امرئ ما نوى » (٢)

وليس الا رأيا سطحيا ذلك الذي يهتم بالأفعال دون القلوب .  
ان الفكرة التي توحى مثل الحديث الشريف القائل : « كل عين  
زانية » والمرأة اذا استعطرت فرت بالمجلس فهي كذا وكذا » لتعد  
فتحاً جديداً في الاخلاق يكاد يكون غير معروف قبل انبلاج  
نجر الاسلام على العالم . ان هذا تطبيق أدق لمعنى الأخلاق . وهذا  
التطبيق الدقيق هو الذي يجعلنا نضن بنمت الحسن أو الخير على  
عمل من الاعمال هو في ظاهره عمل صالح ، اذا لم يكن صادراً عن  
أفضل البواعث . ولعل هذا يشرح لنا ما يقوله بعض الفلاسفة

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٨٤

(٢) حديث شريف

من أن فضائل الوثنيين ليست الا « رذائل فاحرة » (١)

### الرذائل في المصور المختلفة

تختلف المقاييس الاخلاقية باختلاف المصور والأُمم، ومالها من عرف، وتقاليد، ومثل عليا، وديانة، وحكومة. أو بعبارة أخرى — اذا رجعنا الى اصطلاحنا العلمى — : تعيش الأمم في عوالم نفسية مختلفة، كما يعيش الافراد، وقد تكون هذه العوالم ضيقة في عصر من المصور، أو لدى أمة من الأمم، في حين تكون واسعة شاملة في عصر آخر، أو لدى أمة أخرى. لذلك كان كثير مما نعدّه اليوم رذائل غير محدود فيما مضى كذلك. وقد يعدّ المستقبل القريب أو البعيد رذائل أموراً لا نعدّها الآن كذلك. فرذائل اليوم قد تكون فضائل مرحلة من مراحل المدنية المنحطة، أى من العوالم المنحطة التى ارتقينا فوقها، وان كان بعض الناس لا يزال يعيش خاضعاً لها. وفي ذلك يقول الاستاذ ألكسندر أندر « Alexander » : ان القتل، والكنب، والسرقة، ورذائل وراثية قد خلقتها لنا المصور التى كانت تنظر اليها على أنها أمور مشروعة؛

---

(١) يرى مكنتزي أن أول من استحدث هذا التطبيق الاخلاقى هو المسيحية، ويرى جرين أن هذا كان متبعاً عند عظماء الفلاسفة من اليونان. ومهما يكن الامر فان الاسلام قد عني بهذه الناحية عناية لم يسبق اليها ولم يلحق فيها، كما سيأتى تفصيله قريباً.

حينما كان من الشرف أن تقتل كل من لم يكن عضواً في العشيرة ،  
وأن تكذب غير متأنم لتنال غرضاً من الاغراض ، وحينما كانت  
الملكية هرجية وهرجلة . »

ولعل ذلك كله أو بعضه مشاهد الى الآن في بعض القبائل  
التوحشة ، بل لعلنا نحس بشيء قليل من ذلك في بعض جهات  
القطر المصري .

ولدينا مثل أخرى : منها ما ورد في الأدب ( الكتاب  
الثالث ٧٠ وما يليه ) حينما يُسأل تلميذاً في لطف وأدب : هل  
صناعتك « القرصنة » أو أية صناعة أخرى . مما يدلنا على أن  
اليونان لذلك العهد لم يكونوا يرون في « القرصنة » الا صناعة  
شريفة كغيرها من الصناعات . وها هو ذا ارستطاليس العظيم  
يذكر في طائفة واحدة من الصناعات : صيادى الوحوش ، وصيادى  
السمك ، والقرصان (١) . ونحن نعلم أن الاسبرطيين كانوا  
لا يمدون السرقة رذيلة ، وانما كانوا يمدون الرذيلة أن يضبط  
السارق . وبعض طوائف الهنود تعتبر - فيما يقوله أحد العلماء -  
كلام القتل والسرقة عملاً مشروعاً . وما بالنا نذهب بعيداً  
وأمامنا معاملة الأمريكيين لزنوج والتشكيل بهم على طريقتهم

المشهوره (١) واحتقار الاوروبيين لغيرهم من الاجناس . فهذه الاعمال الجائزة اليوم قد تصبح بل تصبح رذائل الغد . وبين يدي الآن كراسات التعداد الاخير للقطر المصرى سنة ١٩٢٧ وفيها صناعات تعترف بها الحكومة وترخص لها برخص رسمية ولا تتعاشى أن تثبت ذلك فى كتاب رسمى . ولعل المستقبل القريب — القريب جداً ينبئنا بزوال هذه « الصناعات » أو على أقل تقدير بعدم الاعتراف بها رسمياً (٢)

### تقسيم الرذائل :

إن تقسيم الرذائل ، كتقسيم الفضائل ، عمل شاق لأن بعض الرذائل يتضمن بعضاً . وبذلك يصعب وضع تقسيم متين للاعمال

- (١) " Lynching " وهى أنه اذا ارتكب أحد الزوج ذنباً لم يمهله الشعب حتى يحاكم أمام القضاء محاكمة قانونية . بل يتولى الدماء المحكم عليه والتنفيذ بمجرد وقوعه فى أيديهم ولا تسأل عن النقوة التى تتمثل فى العقوبة من احراق وتقطيع الخ برأى : Dow, Society & Its Problems.
- (٢) ان القلم ليهتز انزعاجاً حينما ينقل عن الكراسات المشار اليها أن الغناء صناعة ليس مخصصاً للنساء فقط بل للرجال المخانين أيضاً : فكرياسة القاهرة تقرر أن خمسة ( أو خمسة ؟ ) يجترئون هذه الحرفة المهينة ، وكراية الاسكندرية تذكر خمسة أخرى وفى كل من البحيرة وقتنا وجرجا اثنا وكل من كرايتي الفيوم وبني سويف تسجل واحداً — وانا لتقدم الى رجال الدين والشرع باسم الفضيلة ليعملوا على محو هذه السبة عن بلادنا .

لرذيلة بحيث يكون جامعاً لجميع الرذائل ، مخرجاً ماعداها . ذلك إلى أن صعوبة أخرى قد تواجهنا ، وهي أن بعض الأعمال يصعب وضعه في كفة الرذيلة أو كفة الفضيلة . فقد يكذب طفل من الاطفال لينجى صديقاً من عقوبة من العقوبت . وقد يسعى بعض الناس هذا العمل رذيلة ، وقد يسميه بعضهم شجاعة ، أو تضحية ، أو تفانياً في نصرة الصديق . وبذلك قد تظهر لنا الرذيلة متشحة بوشاح الفضيلة . وقد جرى بعض الفلاسفة على تقسيم الرذائل إلى شخصية ( أو فردية ) واجتماعية ( أو غيرية ) . ولكن هذا التقسيم مضلل ، لأنه قد يجرنا إلى اعتبار الشخص وحدة مستقلة عن جماعته التي يعيش فيها ، وبذلك يمكن أن يكون له رذائل شخصية . وبديهي أنه ليس المرء حياة مستقلة عن علاقة الاجتماعية فأية رذيلة ذات اتصال بشر الفرد هي كذلك ذات اتصال بشر الجماعة . غير أن هذا لا يبعدنا عن التفريق بين حياة الفرد والحياة العامة للمجتمع الذي يعيش عضواً فيه ، وبذلك يكون بعض الرذائل أكثر صلة بالحياة الفردية ، على حين يكون البعض الآخر أمتن علاقة بالحياة الاجتماعية .

ومن الفلاسفة من يقسم الرذائل الى :

( أ ) رذائل ناشئة عن خضوعنا لشهواتنا ، كالفسجور ،  
والاثرة ، والبخل .

( ب ) رذائل ناشئة عن عجزنا عن تحمل بعض الآلام ،  
كالجن ، والخفق .

( ح ) رذائل ناشئة عن الخرق في اختيار غاياتنا ، كالظلم ،  
والتهور ، والاسراف .

ولعل خير تقسيم على للرذائل هو ذلك الذى وضعه أرسططاليس  
عند ما تكلم فى « نظرية الوسط فى الفضيلة » إذ اعتبر لكل  
فضيلة رذيلتين تفشآن عن الإفراط ( الإغراق ) أو التفريط  
( التقصير ) . وهذا هو التقسيم الذى سار عليه معظم الفلاسفة  
من بعده (١) ولا سيما فلاسفة المسلمين من أمثال الفزائى وابن  
مسكويه .

وها هو ذا جدول يجمع الرذائل التى يراها أرسططاليس أهم  
الرذائل مع الفضائل التى تتصل بها :

(١) قد وضع بنجامين فرنكلين تمسها شائعاً وإن كان غير دقيق راجع تاريخ  
حياته بقلبه :

الافراط	الوسط	التفريط
رذيلة	فضيلة	رذيلة
التهور	الشجاعة	الجبن
الفجور	العفة أو الاعتدال	خود اللذات أو عدم الحساسة
الإسراف أو السفه	السخاء أو الكرم	البخل
الوقاحة أو الغطرسة	الكرامة أو عزة النفس	ضعة النفس أو القلة
الشراسة	الحلم	الفتور أو البلادة
التنفج (١) أو المبالغة	الصدق	التحفظ أو التعمية
السخرية	البشاشة	الغظاظلة
التملق	الصداقة	التشاكس أو الشكر
التبجح أو السلاطة أو الوقحة	الحياء	الخف أو الخرق (٢)
{ حسد الغير على سعادته	العدل (٣)	{ الشتمة في مصيبة الغير
( الظلم )		( الانظلام )

## (١) التنفج : تَدَنُّج افتخر بأكثر مما عند

(٢) الحرقى محرقة : الدهش من خوف أو حياء . أو أن يبيت فتحا عينيه .  
 وأن يهرق الغزال فيعجز عن النهوض : والطائر فلا يقدر على الطيران .  
 (٣) الرذيلتان الناشتان عن الحيدة عن فضيلة العدل هما حسد الغير على  
 سعادته ، والشتمة بمصيبة الغير . وهذا رأي أرسطو . أما الظلم والانظلام فهورأي  
 افلاطون . وهو أوجه من رأي أرسطو .  
 راجع الكتاب الاول من الجمهورية لافلاطون والكتاب الثاني من الاخلاق لارسطو

### القطيعة

لئن كان حقاً أن الناحية الداخلية لخلق شرير لا تقل أهمية من الوجهة الاخلاقية عن الأعمال الشريرة التي تنشأ عنها ، إن من الانصاف أن نعترف بأن هناك فرقاً بين الرذيلة التي تسكن القلب لا تتحرك منه ، والرذيلة التي تعبر عن نفسها بالأفعال الشريرة ، كما أن هناك فرقاً بين الفضيلة التي تظل من « العزائم الطيبة » والفضيلة التي تثمر عملاً صالحاً .

يقول المثل الانجليزي : « إن الطريق الى جهنم مرصوف بالعزائم الصالحة » (١) وهو يرمي الى فكرة أخلاقية سامية ، هي أن العزائم الصالحة التي يرجع المرء عنها قبل انفاذها تمهد له سبيل الشر . وفي الحق أن نلوم المرء اذا هو عدل طائماً مختاراً عن ارادة طيبة . غير أنه يظهر أن موقفنا ازاء عكس هذه الحالة غريب نوعاً ما . فهل نحن ، كما نقسو على صاحب العزيمة الصالحة اذا هو عدل منها ، نعطف على صاحب العزيمة الآئمة اذا هو عدل عنها كذلك ؟

أما الحكم الاخلاقي فأنا به زعيم : وهو أنه يجب أن نعطف عليه ما دام قد عدل طائماً مختاراً عن عزمته الآئمة . وأما حكم العرف والناس فقد تكفل به العلامة مورهد « Muirhead »

The road to Hell is paved with good intentions (١).



إذ يقول : « لقد عُنى المثل ( يشير الى المثل الانجليزي السابق )  
 ببيان الفرق بين العزيمة والعمل ، في حالة العزيمة الصالحة . ولعله  
 مما لا يشرف الطبيعة البشرية كثيراً أن تفكيراً شبيهاً بذلك فيما  
 يتعلق بالعزائم الشريرة لا يجئنا أكثر تسامحاً مع الاشخاص الذين  
 يضبطون وهم ، على ما يظهر ، على وشك الوقوع في الخطيئة . »  
 ان من المحقق أن المسافة بيننا وبين الجرائم المروعة كثيراً  
 ما تكون أبعد مما يبدو لنا . يقول كزليل « ان بين العزيمة على  
 الجريمة وتنفيذ الجريمة لفجوة عميقة عجيب أمرها . فلا يصح في  
 زناد المسدس ، ولكن الرجل لم يصر بعد سفاكاً (١) بل ان نفسه  
 بأجمعها تجاهد ، أفليس ثمة وقفة مضطربة ؟ أفليس ثمة لحظة من  
 الممكن أن يتحول فيها عن اجرامه ؟ » وكأما عبر كزليل عن نصف  
 الحديث الشريف « .... فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون  
 بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل  
 أهل النار . ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ،  
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة . » (٢)

(١) مأخوذ الى المثل الانجليزي القائل : « كم سقطة بين الكأس والشفة : »

“ There is many a slip 'twixt the cup and the lip.”

(٢) لهذا الحديث غير رواية ولكنها كلها متفقة في هذا المعنى ، وهذه  
 رواية البخاري « كتاب بدء الخلق » .

ولعلنا في حل اذن من أن نكمل ذلك المثل الانجليزي فنقول:  
 « كما أن الطريق الى جهنم مرصوف بالعزائم الصالحة ، فكذلك  
 للطريق الى الجنة مرصوف بالعزائم الآثمة » . وهذا هو ما رمى  
 اليه ابن المقفع اذ يقول : « اذا هممت بخير فبادر هواك ، لا يثلك .  
 واذا هممت بشر فسوف هواك ، لملك تظفر . فان ما مضى من  
 الايام والساعات على ذلك هو اللغيم . » <sup>(١)</sup>

ولأعد مرة أخرى الى « الأخلاقية الاسلامية » بهذا  
 الصدد قد أوضحت فيما سبق أن الاسلام يعنى بالارادة ويجاسب  
 عليها ، وأريد أن أدفع هنا شبهة قد ترد على بعض الاذهان من  
 لفظ بعض الاحاديث للشرعة . وسرى أن جميع ما أثر في هذا  
 الموضوع يرمى الى فكرة أخلاقية واحدة : قال رسول الله ﷺ  
 « ان الله عز وجل تجلوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل  
 أو تتكلم به . » والمراد هنا حديث النفس ، وهو من غير شك  
 مرحلة دون العزيمة بكثير ، وان رجعنا الى اصطلاحاتنا العلمية <sup>(٢)</sup>  
 وجدنا أن حديث النفس هذا ليس الا ما مميته الرغبة فهو أقل

(١) اللاديب الصغير (٢) في الجزء الاول من كتابنا في الاخلاق  
 « الميول وأقسامها » . وقد اصطللنا على تقسيمها الى مراحل أسماها على  
 الترتيب : الحاجة للنباتية ، الشهوة الحيوانية ، الرغبة الانسانية ، قالية ،  
 فلا رادة ( أو العزيمة ) .

من العزيمة ، بل هو أقل من النية التي هي أقل من العزيمة . وطبعاً  
ألا يكون هناك حساب على مثل هذا الحديث النفسى ، لأن فى  
ذلك حرجاً ومشقة ، إذ أن هذا الحديث النفسى فى معظم الاحيان  
خارج ، أو يكاد يكون خارجاً ، عن ارادة الشخص .

وجاء فى حديث آخر : « قالت الملائكة : رب ، ذاك عبدك  
يريد أن يعمل سيئة — وهو أبصر به — فقال : ارقبوه ، فإن  
عملها فاكذبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكذبوها له حسنة ، أعلم .  
تركها من جرائى . » ونحن نرى أن الكلمة التي استخدمت فى  
هذا الحديث هي كلمة « الارادة » التي هي أعلى مراحل الميول  
الانسانية . ولذلك كانت مستلزمة للتبعة ، فإذا هو امتنع عن  
تنفيذها استعباحها واستهجاناً كتبت له حسنة ، لأن هذا عمل  
خير إيجابى . وهذا هو معنى الشق الذى أضفناه الى المثل  
الانجليزى الذى علجناه : « وكذلك الطريق الى الجنة مرصوف  
بالعزائم الآتية . »

إذا فهمنا هذين الحديثين سهل علينا أن نفهم ما عداها من  
الاحاديث الاخرى التي ترمى الى مايرميان اليه ، من أمثال قوله  
عليه الصلاة والسلام : « إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ،  
فإن عملها فاكذبوها عشراً . » والمراد بالحسنة التي يهم بعملها ولا  
يعملها ، الحسنة التي يعزم على عملها ويمتنع عن تنفيذ عزمه قوة

خارجة عن ارادته ؛ بدليل الحديثين المتقدمين . اذ لا يعقل أن تكتب له حسنة حتى ولو كان قد عدل عن عزمه بمحض اختياره . ونحن ، كما بينا ، مستعدون في رأينا هذا الى فهم روح الاسلام وأخلاقه كما وردت في القرآن الكريم والاحاديث الصريحة <sup>(١)</sup> ويطمئن قلوبنا ما كتبه أئمة الحديث في الموضوع مما يكاد يكون على أتم وقلق مع رأينا . قال الامام المازري : ان مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ، ووطن نفسه عليها ، أثم في اعتقاده وعزمه . ويحمل ما وقع في هذه الاحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية وانما مر ذلك بفسكه من غير استقرار ، ويسمى هذا آثما ، ووفق بين الهم والعزم . وقال القاضي عياض : عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب اليه القاضي أبو بكر ، للاحاديث الدالة على المؤاخذه بأعمال القلوب . لكنهم قالوا ان هذا العزم يكتب سيئة ، وليست السيئة التي هم بها لكونه لم يعملها وقطعه

(١) تدبر مثلا قوله عليه الصلاة والسلام : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى تطويبك . » (وأشار بأصابعه الى صدره . ) وقوله عليه السلام : « البر حسن الخلق والائم ماحك في صدرك وكرهت أن يظلم عليه الناس . »

عنها قاطع غير خوف الله تعالى والانتابة؛ لكن نفس الاصرار والعزم معصية، فتكتب معصية، فاذا ارتكبها كتبت معصية ثانية، فان تركها خشية الله تعالى كتبت حسنة كما في الحديث «انما

تركها من جبرأى» أى من أجلى. فصار تركها لها خوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الامارة بالسوء في ذلك، وعصيانه هواه، حسنة. وأما الهم الذى لا يكتب فعلى الخواطر التى لا تسوطن النفس عليها ولا يصحبها. عقد ولا نية ولا عزم. وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخفة بعزم القلب المستقر وعمله كاللحد، واحتقار المسلمين، واردة المكروه بهم. «ان تبتوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» (١)

ولعل ابن المقفع قد نلخص لنا الموضوع حين قال: «لا تحمد نفسك على ما تركت من الذنوب عجزاً» (٢)

على أن هناك نقطة ينبغي أن نقتنبه اليها فى هذا البحث، وهى أن العمل الآثم قد يكون أقل شراً من ثلثة فى أخلاق المرء وإن لم تظهر فى عمل من الأعمال. لأن تلك الثلثة تؤثر فى نشأة الخلق فى ذلك الشخص أكثر مما يؤثر العمل. فالرذيلة التى تلمن عن

(١) شرح الامام النووي على مسلم - وشرح القسطلاني على البخاري باختصار  
(٢) أئمة الادب، ابن المقفع بطل خليل مردم بك

نفسها ، في صورة خطيئة أو جريمة ، تلقى في العادة عقوبتها ، بخلاف الرذيلة الخفية . والرذيلة العلنية ان لم تصحبها عقوبة فلا أقل من أن إتباعها يعلن بطريقة لا يمكن أن يعلن بها تفكير آدم . فإذا ما رأى المرء نتائج أعماله واضحة جليلة غلب أن يقوده ذلك الى الندم والتوبة ، وبذلك تصلح نفسه ، وتستقيم حياته . فإذا كان في قلب امرئ شغف غير له وللإنسانية أن يترجم ذلك الشر عن نفسه ، فالأمل في إصلاح الآثم الصريح أعظم من الأمل في إصلاح الآثم الخفي ، الأحجية البشرية التي لا نعرف في أية كفة نضعها .

### الجريمة :

تطلق الجريمة عادة إطلاقاً أضخم من الخطيئة ، فهي تدل على المخالفات التي ينص عليها قانون الجماعة ، والتي هي عرضة لعقوبات منصوص عليها كذلك . وبدیهى أنه ليس من الممكن أن يدخل تحت هذا القسم جميع المخالفات الأخلاقية . فنكران الجميل مثلاً خطيئة أخلاقية ، ولكنه لا يمكن ادخلها تحت الجرائم القانونية ، فنقص القوانين على عقاب مرتكبها ، لأن تحديد الأعمال التي

تندرج تحت هذه الخطيئة يكاد يكون مستحيلا . كذلك نجد الحاسة الاخلاقية في الشخص ذي الضمير الجلي تسابق المستوى الاخلاقي لقانون المجتمع ، فتحقر أعمالا لا يحقرها القانون ، وبذلك تجدد خطايا لا يعترف بها القانون على أنها جرائم . ولما كانت الآثار السيئة لبعض الخطايا لا تقع الاعلى فاعلمها ، رؤى في كثير من الأحيان أن من غير الضروري أن نشرع قانوناً خاصاً بها .

---

# الفصل الثانی

## العقوبة

### نشأة العقوبة :

ان للخطيئة نتائج شريرة تصحبها دائماً ، وإن هذه النتائج لتعمل عملها بطريقة ظاهرة أو خفية في نفس مرتكب الخطيئة ؛ حتى لقد قال سقراط عبارته المعروفة : « إنه لأنكى على المرء أن يرتكب الشر من أن يحتمله . » وهذه القضية صادقة ، بمعنى أن الأضرار التي تلحق من يصيبه الشر أضرار خارجية . فهي لا تؤذي النفس ولا تلاحق بها خبثاً ؛ بخلاف الأضرار الناشئة عن ارتكابه الشر ؛ فإن مرتكبه يحط من نفسه ، في ميزان الحياة ، ويجنى على نفسه ما لا يستطيع غيره أن يجنى عليه . (١) غير أنه يجب ألا

(١) تدبر فلسفة شكسبير يجربها على لسان مكبث قبل اقترافه الجريمة : « لو أن جريمة القتل لا تنجب أمراً ، ولا تجر شراً ، لكانت على ، ولتركت عقاب الآخرة الى اليوم الآخر . ولكنها جريمة لا يتم اقترافها حتى تنزل بها عليها عقاباً أليماً . فمن استباح دم غيره استبيع دمه ، ومن دس بها غيره عادت الكاس الى شفتيه وهي بالم ممتلئة . »

Macbeth, Act. I, vii, 1—10.



يعزب عن أذهاننا أن الآثار التي تلحق المرء من جراء جنايته ليست دائماً ظاهرة له أو لنيره ؛ فكثيراً ما يظهر له أو لنا أنه خرج من الامر سالماً . ولا شك أن هذا لا يتفق والمعنى الطبيعي للعادلة ؛ فانتا تفرق بفطرتنا جزاءً وفقاً لكل امرئ على ما قدمت يداه . ويؤيدنا في هذا أنه النظام المعقول المنطبق على الفكر الصحيح . فالرجل الفاضل يناضل عن الفضيلة ، ويسعى وراء تقدم الجنس البشري ؛ ومن الطبيعي أن ننتظر له فوزاً وتوفيقاً . والرجل الشرير ينازل الفضيلة ، ويعمل على تدهور الجماعة البشرية ، ويسعى لهدم ما نعتقد أنه حق . ويظهر لنا أن من غير الطبيعي ، ومن غير المعقول ، أن يقرن عمله هذا بالنجاح والظفر . فإذا حدث أن عمل الرجل الفاضل لم يصادف نجاحاً ، في وقت ما ، لم يمنعنا ذلك من أن نظل معتقدين أن جزاءه آخر الامر لن يكون هباءً منثوراً . فإدام في السماء إله ، وفي الأرض عدل ، كان من المنتظر أن الغرض الذي يرمى إليه ذلك الرجل سيلقى نجاحاً ، وكان من الطبيعي أن ينم هو بنجاح غرضه . وكذلك إذا ألقينا آنماً من الآمنين تبسم له الدنيا ، في وقت من الاوقات ؛ لم نستطع أن ندفع عن أنفسنا الشعور بأن هذا التوفيق والهناء

موقت ، وبأن ساعة العقوبة آتية لا ريب فيها (١).

ومن ثم نشأت فكرة الاعتراف بالجميل ، والانتقام ، وكان يكون مستحيلاً أن تتأصل هاتان الفكرتان في شعور الانسان ، لو لم يكن لهما أساس من العقل ترتكزان عليه ، وعضد من المنطق يعضدهما . إن هذين الوجدانين الطبيعيين هما المنع الذي ينبع منه الشعور بالتواب والعقاب . وكلما تقدم الجنس البشرى جنح هذا الشعور الى التضائل والضعف ، من حيث هو شعور بأمر يتصل اتصالاً مباشراً بالشخص . (٢) فلقد كان الانسان الاول شديد المقاومة لكل شريوجه إليه ، أو الى عضو قريب من أسرته أو عشيرته ، وكان لا ينفك يعمل على الثأر من الجاني في أقرب فرصة مواتية . ولكن بتقدم الفكرة الأخلاقية وارتقاها يضعف هذا الشعور بالثأر الشخصي ، إذ يقنعه الانسان إلى أن ما يصيبه شخصياً من الشرور ليس في المكان الاسمي من الامة ، بل لقد يجد الصفح سبيلاً الى قلبه في بعض الاحيان . عندئذ

(١) تدبر قول الله : « وأملئ لهم ان كيدي متين » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يخلق الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته . » والنال الانجليزى : « العقوبة عرجاء ولكن لا بد أن تأتي . »

“Punishment is lame, but it comes.”

(٢) هذا التضائل أظهر في العقوبة منه في التواب .

يشرع المرء يدرك أن الجاني عليه ليس ضرورةً جانياً على الإنسانية؛  
وان الجناية على الإنسانية هي التي ينبغي أن تحتل ذروة اهتمامنا .  
هذا فيما يتعلق بالجناية على الفرد ؛ أما الجناية على الجماعة فليس  
للشعور بها سبيل إلى التضاؤل أو الضعف . فالاعتداء على قوانين  
الجماعة اعتداء على الجماعة ، ولا سبيل إلى عقرائه إلا إذا قدمت  
الترضية الكافية لذلك القانون الذي جرحت عزته ، وامتهنت  
كرامته — لا سبيل إلى صفح المجتمع إلا إذا أصبح جلياً أن العمل  
الآن قد غدا ملغى ، حقيقة أو حكماً . وهذا هو الذي يبرر العقوبة .

### معنى العقوبة :

لعل من الخير أن نذكر أصل اشتقاق كلمة « العقوبة » في  
اللغة ، ليدلنا ذلك — على أقل تقدير — على المعنى الفطري الذي لحظ  
في ذلك العمل الذي اصطالحنا على إنفاذه في المجرمين . قال صاحب  
« المختار » : « العقاب العقوبة ، وعاقبه بذنبه ، وعاقبه جاء بمعقه  
فهو معاقب وعقيب أيضاً ، وتعبه عاقبة بذنبه . » وقال صاحب  
« المصباح » : « وكل شيء جاء بعد شيء قد عاقبه وعقبه تعقيباً ،  
وعاقبت الحص عاقبة وعقاباً . » وقال ابن السكيت : « والباب  
كله يرجع إلى أصل واحد ، وهو أن يجيء الشيء بعقب الشيء أي  
متأخراً عنه . » وكأنتا بذلك قد هدينا إلى تعريف أولى للعقوبة ؛

وهو أنها الألم الذى يتبع عملا من الاعمال . ومن الحق أن نعرف بأن هذا هو المعنى الذى لحظه جميع الاخلاقيين والمشرعين عندما بحثوا العقوبة .<sup>(١)</sup>

### الفرض من العقوبة :

لقد نشأت مذاهب مختلفة فى العقوبة ، ويرى كل مذهب إلى غاية ينبغي أن تحققها العقوبة : فذهب يقول إن العقوبة انتقامية ؛ فلا بد للجاني أن ينال جزاء ما اقترفت يده . ومذهب يرى أن العقوبة يجب أن تكون رادعة ؛ فنحن نعاقب السارق لكيلا يعود الى السرقة . ومذهب يقول إن العقوبة يجب أن تكون واعظة للغير ؛ فنحن نعاقب القاتل لنحول دون وقوع القتل فى المستقبل<sup>(٢)</sup> . ومذهب يرى أن العقوبة يجب أن تكون مصلحة ؛ فنحن نعاقب لنصلح الجاني أولا وبالذات ، لانتقم منه ، ولا لنكفي شره ، ولا لنعظ غيره . نعم إننا لانستطيع أن نقول إن

(١) ولدينا فى المرية كلمة أخرى هى « العاقبة » وسنحتاج إليها لدى الكلام فى العقوبة الطبيعية عند سينر .

(٢) « القتل أتى لقتل » « وألكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب »

العقوبة تصلح فتنصل به إلى الكمال الأخلاقي ( لأنه ليس في التلويح البشري ما يؤيد أن العقوبة وحدها تصل بالمرء إلى ذلك الكمال ) ؛ ولكننا نقول إنها تجعله أبعد عن النقص الأخلاقي مما لو كانت يدها لم تمتد إليه .

وإن نظرة إلى هذه المذاهب الأربعة لتقفنا على هذه الحقائق الثلاث : أولاً ، أن واحداً منها يجعل العقوبة غاية مقصودة لذاتها ؛ وذلك هو مذهب العقوبة الانتقامية . ثانياً ، أن المذاهب الثلاثة الأخرى ، تنظر إلى العقوبة على أنها وسيلة لا غاية . وإن اختلفت تلك المذاهب في نوع الغاية التي تسعى وراءها . ثالثاً ، أن هذه المذاهب ليست ضرورية متناقضة أو متضادة بمعنى أنه ليس ضرورياً أن العقوبة لا تحقق إلا مبدءاً واحداً من هذه المبادئ الأربعة : فليس ضرورياً أن يكون الإصلاح منعزلاً عن الردع والزجر ؛ وقد يتحقق الشأر في العقوبة المصلحة ، وفي العقوبة الواعظة ؛ وربما اجتمعت الأربعة في عقوبة من العقوبات .

### العقوبة المصلحة :

لأنظن أن هناك اختلافاً في أن خير مبدءٍ يجب أن تأخذ به في تربية نشئنا هو مبدءُ العقوبة المصلحة . لقد تختلف الآراء في

موقف الدولة إزاء رعاياها ، من حيث اختيار مذهب من مذاهب العقوبة المتقدمة ؛ أما ونحن بصدد بناء الاخلاق في أطفالنا فينبغي أن ترمى عقوباتنا إلى غرض واحد هو **الاصحاح** . وبما أن كل صور العقوبة تؤدي عملها من طريق الخوف من الألم ، وجب أن نوجه اهتمامنا إلى البحث في إمكان جعل الألم ، أو الخوف منه ، وسيلة من وسائل **الاصلاح** .

**يجب أنه تخلف العقوبة أثراً في ارادة المذنب :**

أما أن يكون الألم سبباً من أسباب **الاصلاح** فشرط بأن يوقظ ذلك الألم في المذنب شعوراً بأنه قد ارتكب ذنباً ، وشعوراً برغبة صادقة في التكفير عن ذلك الذنب . ألا إن هذا هو أهم عمل للعقوبة ؛ فلا سبيل إلى تقويم الاخلاق وتطهيرها من أدرانها إذا نحن لم نغير رأى المذنب في نفسه ، ونحول عقيدته في نفسه من صاحب حق إلى معتدٍ . وذلك ، أولاً باعترافه بخطيئته ؛ ولو كان ذلك الاعتراف سرّاً بينه وبين نفسه .<sup>(١)</sup> وثانياً بالتوبة عن

(١) يقول المثل الانجليزي : الاعتراف نصف الموقعة .

”Confession is half the battle” يريدون الموقعة النفسية بين النفس اللوامة والنفس الامارة بالسوء . ويقول ابن المقفع : ” الاعتراف يؤدي الى التوبة ، والاصرار وعاء الذنوب . “

العودة إليه. <sup>(١)</sup> فالقيمة الأخلاقية كلها تنحصر في هاتين الخطوتين؛ وبدونهما لا يتم الإصلاح. ولكننا مع ذلك نستطيع أن نعمل شيئاً ليس هو الإصلاح، ولكنه قد يمنع الجريمة في المستقبل. فنحن نستطيع - على الأقل - أن نقتنع المذنب العائد بأن هنالك قصاصاً، فنمنه بالارهاب من العودة إلى الجرم، وإن لم نصلح نفسه بالتأثير في إرادته. <sup>(٢)</sup> نحن نستطيع أن نحول بينه وبين الجريمة بعزله، أو سجنه، أو تقييد حريته بطرق مختلفة، مما لا يختلف عن حبس الحيوان الضار في قفص من الحديد. ومثل هذا العمل لا يؤدي إلى إصلاح الخلق مهما أمكن أن يؤدي إلى إصلاح السلوك؛ لأن الخلق هو «عدة الإرادة». <sup>(٣)</sup> فما لم تصلح الإرادة لم يصلح الخلق.

### يجب أنه تكون السلطة المعاقبة سلطة أخلاقية:

ولن يتأتى التأثير في إرادة المعاقب إلا إذا شعر بأن السلطة التي

- (١) يقول ابن المقفع في ذلك أيضاً: «لا تؤدي التوبة أحداً إلى النار، ولا الإصرار على الذنوب أحداً إلى الجنة». وقد أفضنا القول في هذه النقطة في موضوع الضمير في الجزء الأول من «الأخلاق» وسيظهر موضوع الضمير والتوبة في عدي مابو ويونية الآتين في مجلة المعرفة.
- (٢) هذا في الحقيقة انتقال إلى العقوبة الرادعة، ولا يحصى لنا عن ذلك ما دامت العقوبة المصلحة قد أخفقت، وهي لابد أن تحقق مع بعض النفوس.
- (٣) تعريف الاستاذ سميلز.

توقع عليه العقوبة سلطة أخلاقية. ألت ترى أن العقوبة التي يفرضها قانون العقوبات قلما حققت في المجرم إصلاحاً<sup>(١)</sup> ولا غرو فالمجرم، وغير المجرم، لا ينظر الى الحكومة على اعتبار أنها السلطة الأخلاقية المشرفة عليه؛ أو هي، على أحسن تقدير، ليست السلطة الأخلاقية العليا التي يستمد منها الناس غذاءهم الروحي للأخلاق<sup>(٢)</sup>. وقد يرى هيجل «Hegel» وأنصاره أن الدولة هي السلطة الأخلاقية العليا؛ وليس لدينا ما يمنع الموافقة على أن القاضي يعلن في حكمه حكم «الضمير العام». غير أن الحقيقة المرة هي أن المذنب لم يتعلم هذا الدرس بعد. نعم انه يعلم أنه قد خالف قانون الدولة؛ ولكنه يندر أن يفسر العقوبة التي تنزل به بأنها إعلان عن خطيئته الأخلاقية كما أنها إعلان عن جريمته المدنية. إن ضميره يبقى في ظلامه لا ينفذ اليه شعاع يضيء له السبيل. وليس الامر كذلك في العقوبات البينة، أو المدرسية، أو الدفنية. فإذا لم يكن هناك جو فاسد يخرج هذه السلطات الاجتماعية عن طبيعتها

(١) وقد يضاف الى ذلك السبب الصورة التي تنفذ بها العقوبة ونظام السجون الخ راجع مذكرات بطملي Bottomley عن نظام السجون في إنجلترا، المنشورة في Daily Graphic في أغسطس وسبتمبر و أكتوبر سنة ١٩٢٧

(٢) مثل هذا النوع من الحكومة هو الذي كان ينشده أفلاطون، وقد صورته في «الجمهورية» حيث اختار حكاه مدينته الفاضلة من الفلاحة.



نظر المذنب المعاقب اليها فظفرته الى سلطات أخلاقية يخشى بأسها ويتحلى غضبها. ومن ثم يصبح لنقمتها عليه أثر في ارادته ؛ فهي بذلك تلقنه الدرس الاخلاقي الذي عجزت محكمة الجنح والجنابات عن تلقيته : فهذا تفتح عيناه الى أنه قد ارتكب - بسبب الاهمال ، أو الكسل ، أو الاستبداد بالرأى ، أو الخضوع للعاطفة - خطيئة مخالفة للقانون الأخلاقي ، خطيئة كان ينبغي أن يعصمه منها ضميره . فاذا هو أدرك ذلك لم تبق عليه الا خطوة قصيرة الى التألم من تأنيب الضمير ، وخطوة أخرى الى التوبة والاناة .

وليس ضرورياً أن تكون العقوبة صارمة ، فاية عقوبة - مهما بدت ضئيلة بالقياس الى الذنب - تكفي لتحقيق غرض الإصلاح متى نجحت في إيقاظ المذنب من سباته ، وأقنعت به أنه من الوجهة الاخلاقية آثم ، وأن التبعة الاخلاقية ليست شيئاً يسهل التنحي والإغضاء عنه . فإذا استطاعت الحكومات أو الدول أن تأثر بذلك الإضرار الاخلاقي الذي تبدو فيه الاسرة ، والمدرسة ، والدين ، أمكنها أن تحقق من الإصلاح في نفوس المجرمين ما تعجز عن تحقيقه الآن . وبذلك يقل الأثر السيئ الذي تحدثه العقوبات في أخلاق المجرمين من استهزامهم بعد إذ يبلّدون . عندئذ

تصدق تلك الحكمة التي طالما سخر الناس من نقشها على أبواب  
السجون : « السجن تأديب ، وتهذيب ، وإصلاح . »  
ولا يحدث ذلك الألم المنشود عاملان لا بد من العناية بهما ،  
والحذر فيهما ، وهما الخوف والفضيحة .

### الخوف :

حينما كانت عقوبة كان خوف ؛ ولا سبيل الى إنكار ما  
في الخوف ، في كثير من الاحيان ، من النلة والبغضاء . غير أن  
الخوف الذي ينبعث من سلطة لها في النفوس احترام وتوقير ،  
ليس بذلك الخوف المثير لمعنى العبودية والكرهية . لأن الذي  
يُخاف في هذه الحالة ليس مجرد الألم ؛ بل يصحب الخوف من  
الألم خوف آخر أرق منه كثيراً ، وهو خوف الجفوة والقطعية  
من سلطة يعتبرها المرء خيراً - سواء أ كانت تلك السلطة الموقرة  
شخصاً ، أو جماعة ، أو قانوناً . فإذا تحقق ذلك في الخوف قد  
الخوف معنى النلة والجبن ، وأصبح عنصراً فضالاً في التربية  
الأخلاقية . ولسنا نجد أن الأفضل أن يكون الباعث الاخلاقى  
يخلو من الخوف ، ولكن إذا لم يكن بد من أن يكون هناك خوف  
- ولا بد في العقوبة من الخوف - فانبعاثه عن احترام السلطة

المنفذة للعقوبة يذهب بما فيه من القلة والمهانة . مثل ذلك الخوف ليس خوف الجبن الذي يمتقره ، ولكنه خوف الشجاعة الذي يمتحرمه ، والذي جعله أرسطو ليس قسما من أقسام الشجاعة .<sup>(١)</sup>

وإننا لنشاهد ذلك واضحا جليا في عقوبة المعلم تلميذه ، والوالد أو الوالدة ابنيهما ، حيث يسود العقوبة جو الحب والعطف والاحترام . إن العنصر المنحط البغيض من خوف الألم نفسه ليتضائل في مثل هذه الاحوال ، حتى ليكاد ينعدم . فحب الطفل أباه وأمه ، واحترام التلميذ استاذَه ليس عاطفة سريعة الذبول حتى في أعاصير العقوبات وأنوائها ، مهما تعددت وتقلبَت ، ما دامت تلك العقوبات عادلة . وهل نريد على ذلك دليلا أوضح من أن هذه العقوبات لا تخلف في النفس أثرا للبغض ولا للحفيظة ؟ وهو أمر لا نستطيع أن نفتخر به العقوبات التي لا تكتملها هذه العواطف الشريفة .

(١) يعتبر أرسطو ليس خشية القوانين ، واحترام الرؤساء قسما من أقسام الشجاعة . ويطلق عليه اسم الشجاعة المدنية راجع الباب التاسع من الكتاب الثالث من الاخلاق الى يقوم اخوس .

### الفضيحة:

وشأن العقوبة مع الفضيحة شأنها مع الخوف ، فلا مفر من فضيحة تلحق بالمعاقب ، مما جعل كثيراً من الناس يحملون على العقوبة ، ويعصونها بأنها سالبة للكرامة ، وداعية الى التدهور ، والانحطاط ، بل الى الاستهتار . غير أن الذين ينمون على العقوبة تلك الهذات لا ينظرون الى ما هو أبعد من العقوبة وأسمى ، ولا يعنيه من الامر إلا ما يبدو من خضوع المعاقب وذلك في أعين النظارة . لكنهم بذلك يغفلون عن أمر هام وهو أن هذه الفضيحة المحتومة ممن يدفعه المحرم لتوبته . وهم اذا قبحوا ذلك استحالَت صورة الفضيحة الى صورة أخرى دأمة : هي صورة الهرب من ارادة شريفة ، واستئناف حياة جديدة . فاذا كان التشهير - في صورته الحازمة طبعاً - خطوة في سبيل الكمال الأخلاقى ، لم يكن مذلة ولا امتهاناً . بل ان المذلة والامتهان هما في الائم ؛ أما العقوبة وفضيحتها فحمل نرحب به على أنه سبيل النجاة من مرة الخطيئة .

ولا يفوتنا قبل أن نختم القول في هذا المنهج أن نشير الى ما به من ثغرات للتقد : فقوبة القتل لا نجد سبباً يبررها على أساس هذا المنهج ، اذ كيف يتأتى اصلاح الشخص بعد ازهاق

روحه ؟ وكذلك نجد صوراً أخرى كثيرة من العقوبة لا تحقق هذا الغرض . بل إننا نجد من الأحوال ما تكون فيه الرحمة والمطفأ أكثر تحقيقاً للإصلاح من العقوبة .<sup>(١)</sup>

### العقوبة الرادعة :

ترمى هذه العقوبة الى ردع الجاني وزجره عن العودة الى الجنائية ، فقطع يد السارق عقوبة قصد منها — فيما قصد من الأغراض — الحيولة بين الجاني والسرقة في المستقبل باستئصال العضو الذي باشر السرقة . وكذلك الحبس وما يحدثه في نفس المذنب من ألم القيد وحرمانه نعمة الحرية ، قصد منه ربط هذا الألم في ذهن المجرم بالجريمة التي ارتكبها ، فإذا حدثت نفسه بارتكابها مرة أخرى ذكر ماعقبها من آلام فارتدع عن غوايته . والفرق بين هذا المذهب وسابقه أن هذا يرمى الى منع المجرم من معاودة الاجرام ، حتى ولو كان ذلك من طريق خوف العقوبة نفسها . أما المذهب الاصلاحي فكما قررنا يرمى الى اصلاح نفس المجرم عن طريق الخوف من السلطة الموقرة التي توقع العقوبة ، والتي تعتبر العقوبة إعلاناً صريحاً عن مقاطعتها له .

(١) سيأتي الكلام في هذا في موضوع « الضو » .

وابماده عن حظيرتها . وبعبارة أخرى : يحاول المذهب الاصلاحى أن يجتاز بالمجرم القنطرة التى تفصله عن الفضيلة ، التى تفصله عن الجماعة التى خرج عليها — فى حين أن المذهب الرادع قد يكتفى بتركه حيث هو وراء القنطرة ، مقتنعا بأن يقيم عليه حارسا يضمن عدم معاودته الجريمة .

### العقوبة الواظمة :

وهذه العقوبة ترمى الى زجر الناس عن ارتكاب آثام تشبه الاثم الذى نعاقب المجرم من أجله ، فهى بذلك تعطف قوما ليسوا مجرمين ، لكيلا يصبحوا يوماً ما مجرمين . وخير تصوير لهذا المذهب هى العبارة التى نطق بها أحد القضاة الانكليز : « اتنا لانعاقبك لأنك سرقت شاة ، ولكننا نعاقبك لكيلا تُسرقَ شياه فى المستقبل . » ومن صور هذه العقوبة حد الزانى عند المسلمين : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عداهما طائفة من المؤمنين . » فمن الاغراض التى رعى اليها الاسلام بهذه الصورة من العقوبة وعظ الناس الذين لم يرتكبوا هذه الجريمة ليتزجروا عاراًوا .

وكان أنصار هذا المذهب يقسمون المجرمين قسمين : مجرم بالفعل ، ومجرم بالقوة ، وإلى القسم الثاني تتجه عنايتهم ، فهم يعاقبونه في شخص المجرم بالفعل ، ليكفوه عن الوقوع في الآثام على حد قولهم « الوفاة خير من العلاج . »

غير أنه إذا لم يكن للمقوبة غرض تحقيقه إلا هذا فقط ، بدت كأنها ظلمة ، وكانت عرضة لزوال والاندثار إذا ارتقت « الاخلاقية » في الأمم . فانه من التعسف أن نعاقب شخصا لا شيء إلا لنفع غيره . وبذلك يتضح لنا أن هذا المذهب يعتبر الإنسان شيئا ، أو وسيلة ، لا غاية مستقلة ، ومقصودة لذاتها .

### المقوبة المنتقمة

والغرض من المقوبة بناء على هذا المذهب هو أن ينال المرء من الاذى مثل ما أنزله بغيره ، بمعنى أنه يشعر بأن النتائج الشريرة لجرأته ليست وبالا على غيره فقط ، بل ينبغي أن يشعر بأنها وبال عليه هو أيضا . ويظهر أن هذا المذهب كان أول رأى في المقوبة ارتآه الانسان في مدينته الاولى <sup>(١)</sup> لانه ينطبق على

(١) كانت المقوبة في المدينت الاولى متروكة للمجنى عليه أو لاوليائه ، وكانت انتقامية في كميتها وكيفيةها . ثم أخذت الدولة تشرف على تنفيذ المقوبات ، فكان النظام أول الامر أن يتولاها المجنى عليه أو عترته تحت اشراف الدولة ثم انتقلت المقوبة إلى ولي الامر لا يتولاها سواه . ومن أئمة المسلمين من =

طباعه وعاداته حينئذ ، ولأنه يتفق وفكرته الاخلاقية : (١) وان التاريخ الاجتماعى ليقص علينا من عجائب العقوبة الانتقامية ما نضحك منه اليوم سخرية ، من الحكم على الاحجار التى تصيب الانسان ، بالنفى وراء الحدود ، ومن الحكم على الحيوان الذى يؤذى انسانا بالجلد أو الشق . (٢) وان لنا فى الطفل — وهو يمثل الطفولة البشرية — لمثلا آخر على العقوبة الانتقامية ، ودليلا على أنها الفكرة الاولى التى تشبع بها الانسان الاول الساذج . فى طبيعة الطفل ان يرتاح للانتقام من الارض التى سقط عليها ، بضربها أو شتمها ، ومن الحجر الذى تعثر به بزرجه وانهاره . بل انه لا يتقنع أحيانا الا باقتراء الذنب ! اقتراء ، وبانزال عقوبة

يرى ذلك ، ومنهم من يميز أن يتولى ولي المحبى عليه العقوبة بإذن السلطان . كذلك كانت العقوبات تنفذ علنا بقوة يفرض الوعظ ، ثم خيف تبليد الناس لرؤيتها والنهم ايها . ولا تزال بعض الدول تنفذ عقوبة الاعدام علنا ، وكانت فى مصر علنا الى سنة ١٩٠٤ وتنفذ الحكومة المصرية بعض العقوبات كالجلد على مشهد من المسجونين ، لكنها ترى أنهم أحق الناس بالانهاض .

(١) يقول الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى : «ولكم فى انقصاص حياة» مالم يخصه : ان العقوبة كانت عند اليهود انقصاص ، وعند المسيحيين الغفر ، وأصبحت عند المسلمين انقصاص والغفر جميعا ، فمن شاء المرء اقتص ، وان شاء عفا . « فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » وسيأتى تفصيل ذلك فى الكلام فى « الغفر » .

(٢) جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج من العهد القديم : « واذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات بجرم الثور ولا يؤكل لحمه . »



(هي عادة صورية) بشخص ما ، أو بشيء ما ، حتى تهدأ تأثيرته .  
على أن من الممكن أن يؤدي هذا المذهب الفرضين السابقين :  
غرض الردع ، وغرض الوعظ . فلذا كان غرض العقوبة أن تتأثر  
لسلطة القانون ، فإن ذلك قد يردع المجرم ، ويزجر غيره عن  
ارتكاب مثل ما ارتكب . بل إن غرض الإصلاح نفسه قد يتحقق  
في هذه العقوبة ، فإدام الإصلاح لأبد فيه من الشعور بالندم ،  
فليعلم كل امرئ ألا ندم من غير ألم . فهذا أمر محتوم . ولقد  
تكون العقوبة هينة ، ولكن الألم يبقى مع ذلك حاداً وجعاً . ولا  
بد للآثم من أن يشرب كأس الندم حتى الثمالة . عندئذ تصلح  
نفسه ، ويتهذب خلقه ، ويستقيم سلوكه ، ويزجر غيره . إذا  
نجح القصاص في ذلك فقد أدى جميع الأغراض الأخرى للعقوبة ،  
وبرر نظريته ، وأقنعنا بما يراه بعض الفلاسفة من أن القصاص  
أفضل أنواع العقوبات .

وليس من الخطأ في قليل ولا كثير أن نفى الدولة أو السلطة  
التي تتولى العقوبة بتقوية روح السخط على الجرائم ، تلك الروح  
التي يُصبر على إذ كاثها أنصار مذهب العقوبة الانتقامية . فليخبر  
الشعوب أن تمت الجرائم المقت كلة ، وأن تعاقب عليها . وليخبر  
المدرسة أو الأسرة أن تكون ساخطة على الرذائل ، وأن تعمل

على استئصالها . ان من خير الجماعة ، أيا كانت ، أن تثور ثائرتها . إذا سلمت الجريمة من العقوبة ، وأن يهدأ روعها ، وقطعت نفوسها ، إذا رأت يد القصاص تأخذ بناصية الجريمة .<sup>(١)</sup>

وينبغي ألا يفشأ ذلك عن روح انتقامية ، أو نقص في روح العطف على المذنب ، بل ينبغي أن يكون الباعث على تلك الثورة على الجريمة ، روحاً أممى هي روح الإصلاح التي لا بد لتحقيقها من تلقين درس قاس :

فصا ليزدجروا ، ومن يك حازماً فليقسُ أحياناً على من يرحم وهذه هي الروح التي انطوت عليها فكرة العقوبة الإسلامية في مثل القصاص في القتل ، وقطع يد السارق الخ . ذلك أن عقوبة الإصلاح تخفق في صنف من الناس ، هم أولئك المفضلُ الذين يستعصون على الهداية . وليس ثمة شك في أن من الناس من لا ميبيل الى تقويمه ، فاذا اعتمدنا في عقوبته على الإصلاح كنا نحاول

(١) من أجل ذلك جعل الشرع والقانون التبليغ عن الجريمة من واجب كل فرد . يراجع نظام الحسبة في الإسلام . والنيابة العامة في القانون . ( الفرزالي احياء علوم الدين ، الجزء الثاني ، الباب الاول والثاني ) . وتنص المادة السابعة من قانون تحقيق الجنايات على أنه يجب على كل فرد القبض على المجرم المتلبس بالجريمة ، والتبليغ عن الجنايات التي يعلم بوقوعها . غير أن هذا القانون خال من جزاء من يخالفه . ولذلك يسمى قانوننا ناقصاً . *Loi imparfaite* . وراجع مقدمة القانون للاستاذ احمد صفوت بك .

عينا . وهذه مشكلة خطيرة ، ولكنها في البيت والمدرسة أشد خطراً منها في الدولة . فإن للدولة أن تلجأ إلى الاستئصال : فإذا عجزت عن العلاج ، وعن الردع لم تعجز عن السجن ، أو العزل ولو مدى الحياة . وإن هذا الثمن الباهظ لا بد أن يدفع لتطهير المجتمع . ولكننا لا نستطيع أن نفعل ذلك في المدرسة . نعم تستطيع المدرسة في الحالات القصوى أن تفصل التلميذ العضلة الذي يستعصى عليها تقويته ، لتسلم من وبائه . ولكن ذلك لا يحل العضلة ، وإنما ينقلها من مكان إلى مكان آخر ، ومن أيدٍ قد تستطيع العمل إلى أيدٍ قلما تجد إلى العمل سبيلا : ينقلها من المدرسة إلى إصلاحية الأحداث ، أو إلى البيت - إن كان لمثل هؤلاء التعساء بيوت يأوون إليها . ثم ماذا تفعل الأسرة هؤلاء ؟ توصل في وجوههم أبوابها ، وتقطع بينها وبينهم الملائق الطبيعية ، فيهيمنون على وجوههم ، ولا يفتح أمامهم باب الأب السجون !

غير أنه ينبغي ألا يغيب عن الأذهان أنه ليس كل عضلة مستعصياً حقاً على الإصلاح . ففي كثير من الأحوال قامت لنا البراهين على أن شعاع الخير قد يتغذى حتى إلى نفوس أشد المجرمين ظلاماً وظلماً . هذا بالقياس إلى الدولة ، أما بالقياس إلى المدرسة والأسرة فالخذر الخذر من التعجل بوصف الطفل بأنه غير قابل

للإصلاح ؛ لأنه يندر أن يكون ثمة طفل غير قابل للإصلاح .  
 فالعمر لا يزال غضاً ، والنفس مابرح ليناً ، وطريق التنويم .  
 كان شائكاً فلو كه ممكن ؛ إذ لم نصل بعد الى مرحلة القنوط  
 القائل : « ومن العناء رياضة الهرم . » وجدير بنا أن نذكر أن  
 أننا منا وان كان أجدع .

وإذا كان هذا شأننا ومبلغ عطفنا على العضل وأشباههم ،  
 فأخلق بنا ان نكون مع غيرهم أحرص على الإصلاح ، وأن نعتبر  
 العقوبة علماً تابعاً لمعامل أصلي أعظم منه خطراً ، وأجل قدراً ،  
 هو بناء الاخلاق . وقد لانسرف في التفاؤل إذا قلنا : انه مادام  
 هناك قسوة ، وتقاليد ، ومنزل عليا ، وضماير فالعقوبة — التي  
 يبدو لنا أنها لن تختفي عن ظهر الارض — ستزول منزلة أسمى  
 مما نزلت من قبل ، حينما كان الناس يعتقدون أن التعذيب  
 والتنكيل هما السبيل المعبدة للفضيلة .

## الفصل الثالث

### عقوبة الاعدام

لقد قام خلاف كبير بين فلاسفة الاجتماع والمشرعين فيما يتعلق بعقوبة الاعدام فأصر فريق على بقائها متذرعاً بأنها عقوبة طبيعية للقاتل ، وراذعة لغيره ، ومحققة لمخى العدالة والمساواة . واعترض آخرون بأن العدالة البشرية لا يمكن أن تكون معصومة ، فإذا أخطأت ثم أرادت أن ترجع إلى الحق لم يكن ذلك ميسوراً لها وقد أزهقت روح بريئة . <sup>(١)</sup> كذلك يقولون إن الدولة تقتلها المجرم لم تزد على أنها أضافت إلى القتل الأول قتيلاً ثانياً ، بدل أن تكتفى بواحد وتحاول اصلاح الثانى ؛ فكأنها تشجع الانتقام وتنفض عن فكرة اصلاح .

ولقد أخذ بعض الدول بالرأى الأول ، على حين أخذ

(١) لقد اكمل الدين والقانون أرقى درجة ممكنة من العدالة البشرية ، بدرء الحدود بالشبهات ، وبحق الطعن في الحكم الخ . وإذا نحن تأمنا على أساس هذه الحجة ، فمدنا عن كثير من الاعمال في فروع الحياة المختلفة .

- غيرها بالرأى الثانى . واليك بياناً موجزاً عن كل فريق :
- النمسا : ألغت عقوبة الاعدام سنة ١٧٨٧ ثم عللت قرارها سنة ١٧٩٥ للخيانة العظمى . وفى سنة ١٨٠٣ قررتها لبعض الجرائم الأخرى .
- فلانده : هذه العقوبة قائمة فيها ، ولكنهم يدعون أنها لم تنفذ منذ سنة ١٨٢٤
- فرنسا : فيها العقوبة ، ولكن رئيس الجمهورية كثيراً ما يستخدم حقه فى العفو ، حتى فى القضايا التى يتطلب فيها الرأى العام منتهى القسوة .
- ألمانيا : كانت مقاطعات كثيرة قد ألغت هذه العقوبة قبل القانون العالى العام الصادر فى سنة ١٨٧٢ ولكن هذا القانون قد أعاد هذه العقوبة .
- هولانده : لم تنفذ عقوبة الاعدام فيها منذ سنة ١٨٦٠ وقد ألغيت رسمياً سنة ١٨٧٠
- إيطاليا : ألغتها سنة ١٨٨٨ وأعتقد أنها عللت الى تقريرها ثانية بمناسبة الاعتداء على موسوليني سنة ١٩٢٦
- النرويج : كانت فى قوانينها حتى سنة ١٩٠٥ وإن لم تنفذ منذ سنة ١٨٧٦ وقد ألغيت رسمياً بقانون ٦ يناير سنة ١٩٠٢

بلجيكا : يعترف قانونها بعقوبة الاعدام ، ولكنه يخص بها

بعض حالات الخيانة العظمى ، والاغتيال ، والتسميم .

وتنفذ العقوبة علناً ، غير أنه يظهر أنه لم يعدم أحد

منذ سنة ١٨٦٣

البرتغال : ألغتها سنة ١٨٦٧

رومانيا : ألغتها سنة ١٨٦٤

روسيا : ألغتها في عهد العاهلة الزارث سنة ١٧٥٠ ثم أعادتها

ثم ألغتها سنة ١٩٠٧ إلا لثلاث جرائم .

أسبانيا : يقر قانون سنة ١٨٧٠ عقوبة الاعدام ، وينفذها

علناً على مشهد من الشعب . ولكن لا يلجأ الى ذلك

عادة الا نادراً ، اكتفاء بالاشغال الشاقة المؤبدة .

ولا ندرى بالضبط موقف الحكومة الجمهورية التي

قامت منذ العام الماضي ازاءها .

السويد : تنفذ هذه العقوبة ، وقد حاول بعض المشرعين

استصدار تشريع نيابي بالغائها سنة ١٩٠١ ولكن

كلا المجلسين رفضه .

سويسرة : في سنة ١٨٧٤ ألغت الحكومة الاتحادية لسويسرة

عقوبة الاعدام . ولكن في سنة ١٨٧٩ أصبح لكل

ولاية ( كاتون ) الحق في أن تعيدها جزاء على  
الاعتداء على حدودها . وقد ظلت الحكومة الاتحادية  
ممتنعة عن إعادة الاعدام حتى اضطرها اليه انتشار  
القتل مع التردد بين سنتي ١٨٧٤ و ١٨٧٩ وقد  
أعاد عقوبة الاعدام سبع ولايات من اثنتين وعشرين ،  
ولكن قلما نفذ الاعدام فعلا في تلك الولايات .  
وحينما اغتيلت حياة العاهلة النمساوية في جنيف سنة  
١٨٩٨ لم يسمح القانون باعدام القاتل . وأخف  
عقوبة تعرفها القوانين للقتل العمد ، في ولاية تَسُوغْ  
« ZUG » حيث الحد الأدنى ثلاث سنوات .

انجلترا : يعاقب فيها بالاعدام على جرائم أربعة : الخيانة  
العضى ، القتل ، القرصنة مع استعمال القسوة ،  
الاعتداء على دور الصناعة الحكومية وأحواض  
بناء السفن .

الولايات المتحدة الأمريكية : تبيح القوانين الاتحادية للولايات  
الحكم بالاعدام في بعض الجرائم ، ولكن السلطة  
الحقيقية في يد كل ولاية على حدة . وبعض الولايات  
قد ألغاه ، وبعضها قد أبقاها . وبعضها ( مين )



( Maine ) ألفتها سنة ١٨٧٦ ثم أعادتها سنة ١٨٨٣

ثم عادت فألفتها سنة ١٨٨٧

اليابان :

تنفذ اليابان عقوبة الاعدام داخل السجن ، ويعاقب بها على جرائم الاعتداء على الميكادو ، وبعض أفراد أسرته ، وعلى القتل مع سبق الاصرار ، وعلى الاعتداء على حدود الدولة ، أو قلب نظام الحكم .

مصر :

يقر القانون المصرى عقوبة الاعدام لجرائم معينة ، والمحاكم تطبقها فعلا متى تحققت شروطها . ولكنها فى أحوال كثيرة تستبدل بها عقوبة الاشغال الشاقة مراعاة لظروف الرأفة . وتنص المادة ٤٩ من قانون تشكيل محاكم الجنايات على أنه يجب على المحكمة قبل أن تصدر حكما بالاعدام أن تأخذ رأى مفتى الجهة التى فيها المحكمة . ولكن يظهر أن رأى المفتى ليس الا استشاريا ، والمحكمة أن تحكم بخلافه .

ومن ثم نرى أن المشرعين لم يستطيعوا الوصول الى الآن الى رأى حاسم فى هذا الموضوع ، وهم ان اتفقوا على شئ فقد اتفقوا على أن تكون عقوبة الاعدام جزاءا لعدد محدود جداً من الجرائم ، وأنه لا يجوز الاسراف فى تطبيقها .

ومن شاء الاستزادة فليرجع الى الكتب الآتية : (١)

1 ) Oldfield, The Penalty of Death.

2 ) Andrews, Old Time Punishments.

3 ) Pike History of Crime.

(٤) شرح القسم العام من قانون العقوبات المصرى لملى  
زكى العرابى بك .

(١) من شاء الاطلاع على دفاع شعري بليغ عن عقوبة الاعدام فليقرأ  
الاربعة عشر قصيدة التي كتبها الشاعر الانجليزي وردسورت Wordsworth  
Sonnets upon The Punishment of Death. بعنوان

## الفصل الرابع نصائح عامة في العقوبة

ولنسق الآن بعض النصائح التي نُسبها الى الآباء والامهات والمعلمين عسى أن يكون لمقوباتهم أثرها المنشود.

١ - يجب الوثوق من أن المعاقب مجرم . فإذا كنا في شك من إجرامه وجب ألا نقدم على عقابه .<sup>(١)</sup> وخير للجميع أن نخطيء فنطلق مجرماً ، من أن نخطيء فنعاقب بريئاً . إن المجرم الذي تخطئه العدالة قد يقرأ في إفلاته من العقاب درساً يحول بينه وبين الاجرام ثانية ؛ قد يظن أن المصادفة التي أتاحت له فرصة النجاة لا تعود ، فيحمد الله على ذلك ؛ غير طامع في مصادفة أخرى تنجيه من جريمة أخرى . أما البريء المعاقب فان نفسه تتألم ، وتبرم ، وتثور ، ويتألم لألمه ، ويتبرم لتبرمه ، ويثور لثورته أهله

(١) يقول المثل العربي : « التبت نصف المنو . » وما أحكم القرآن الكريم اذ يقول : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِصْرَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ فَلَاحِقٌ لِّلْمُتَكِبِينَ . » س ٤٩ ، آ ٦٧

وأصدقائه ، وكل من يعلم شيئاً عن براءته . ولا تسأل عن مبلغ احتقار أولئك جميعاً للقانون والقائمين على المحافظة عليه . ثم ماذا ترك لحرمة العدالة بعد ذلك ؟ لهذا جاءت الشرائع الالهية والوضعية منبهة على عدم الاعتماد بالشبه واتخاذها أساساً للدانة . فالاسلام صريح في ذره الحدود بالشبهات ، وجميع القوانين الراقية تؤول الشك لمصلحة المتهم .<sup>(١)</sup>

## ٢ - تجب التفرقة بين الذنوب المختلفة . فتجب التفرقة

(١) جدير بنا أن نوجه الانظار هنا الى أن من الجائز الخروج على هذه القاعدة في أوقات الفتن والثورات ، لكي يستقر الامن وتسود العدالة . وهو استثناء لا يبد منه لضرورة اجتماعية ، ولكنه يجب أن يكون في يد الحاكم الحازم ، لانه سلاح ذو حدين فقد يصلح وقد يفسد . ومهما يكن تسليمنا به فإنه لا يصل الى حد أن تقرر سياسة « عهد الارهاب » في فرنسا مثلاً ابان الثورة الفرنسية . ولعل خير مثال يوضح ذلك الاستثناء سياسة زياد ابن أبيه في البصرة ، التي وضع دستوراً في خطبته الشهيرة ، فكتب منها مايتصل بموضوعنا : « قريبتم انقراية ، وبعادتم الدين . تستنرون بغير العذر . وتقصون على النكر . كل امرئ منكم يرد عن سفيه ، صنع من لا يخاف عقاباً ، ولا يرجو مآداً . فل يزل بهم ما يرون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ، ثم أطرقتوا وراءكم كنوساً في مكائس الرب . حراء على الطعام والشراب حتى أضرم هذه المواخير بالارض همداء واحراقاً ! اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما يصلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف . واني لاقسم بالله لا تخذن الولي بالمولي ، والمقيم بالطاعن ، والمطيع بالماضي ، حتى يلقي الرجل أخاه فيقول : ( انج سعد فقد هلك سعيد . ) أو تستقيم لي قناتكم . »

مثلاً بين ذنوب الإهمال والتقصير، وذنوب الاقتراف والاعتداء؛ بين الذنوب التي يرتكبها الجاني ضد نفسه، والذنوب التي يرتكبها ضد غيره؛ بين الذنوب التي يرتكبها الجاني ضد قانون الدولة، وانطوائياً الأخلاقية التي لا يحاسب عليها إلا الأخلاق. وقد راعت جميع الشرائع السماوية والوضعية هذه التفرقة: فهناك قتل العمد، وشبه العمد، وقتل الخطأ، وزنا المحصن، وزنا غير المحصن إلى آخر الجرائم الشرعية. وقد قسم القانون المصري الجرائم إلى الجرائم المقصودة، والجرائم غير المقصودة، والجرائم الوقتية، والجرائم المستمرة، والجرائم البسيطة، وجرائم العادة، والجرائم العادية، والجرائم السياسية. (١)

٣ - ويقع القاعدة السابعة أن تكون العقوبات مناسبة للآثم. وليس تطبيق هذه القاعدة سهلاً كما قد يبدو؛ فالناس - إلا قليلاً ممن عصم الله - لا يعرفون كيف يختارون العقوبة للذنب. وقد احتاطت القوانين لذلك، فترك الإسلام لتقدير القاضي عقوبة التعزير؛ وترك القانون الوضعي للقاضي حدوداً بين فيها الحد الأدنى والحد الأقصى للعقوبة ليراعي الظروف المشددة أو المخففة التي قد

(١) هذا التقسيم مأخوذ من شرح القسم العام من قانون العقوبات وجرائم القتل والجرح والضرب، للاستاذ علي زكي الرازي بك.

تكتنف الذنوب . وزيادة في هذا الاحتياط ، خشية أن يخطئ القاضي الجزئي ، شرع الاستئناف والتنقض والالتماس . وإذا كان القانون ، رغم أنه مسطور محدود ينتهي الدقة ، يخشى إلى هذا الحد الخطأ في اختيار العقوبة المناسبة ، فما ظنكم بالعقوبات المدرسية والبيئية ، وهي عقوبات غير محدودة ، ولا دقيقة ، ولا مسطورة ؟ ولعل خير نصيحة نسيها بهذا الصدد هي اختيار العقوبة التي تثير في النفس الندم مما خفت في ميزان تقديرنا .<sup>(١)</sup>

٤ — وتستمتع القاعدة السابقة قاعدة جديدة ، وهي أن تكون العقوبة شبيهة بالذنب : « إن الجزاء الحق من جنس العمل . » عندئذ يحق لنا أن نرجو أن تصيب العقوبة المحز ، وأن تجهز على الجريمة .<sup>(٢)</sup> فعقوبة الولد الشره أن نجيعه ، والوفاح أن نحقره ولا

(١) ان فكرة التناسب بين العقوبة والذنب لتدل على رقي روح التشريع . وكلا دقت الفروق بين الجرائم ، وتبينها دقة الفروق بين العقوبات ، كان ذلك أدل على سمو التشريع . وان تعجب فحجب أن يكون قانون العقوبات الصادر في عهد جورج الثالث ( ١٧٣٨ - ١٨٢٠ ) محتويا على ستين ومائة جريمة مختلفة في طبيعتها ولكنها تتحد كلها في أن عقوبتها هي القتل . راجع :

Aylmer maude, Tolstoy and His Problems.

ولا يحاقب بالقتل الآن في انجلترا الا جرائم أربعة : الحياة العظمى ، القتل ، القرصنة مع استعمال القسوة ، الاعتداء على دور الصناعة الحكومية وأحواض بناء السفن .  
(٢) هذا هو مذهب روسو وسبنسر في العقوبة الطبيعية كما سيأتي .

يُحْطَل به ، والكسلان أن نكلفه عملاً ، والغافل غير المكثرت أن يعيد ما عمل مع الحذر والعناية ، والبفت التي تضيع دميته أن تشاهد أختها تلعب بدميتها في حين أن يدها هي مقفرة ، وهلم جرا .<sup>(١)</sup>

٥ — كذلك يجب أن تكون العقوبة مثلاً يضرب للغير . فما دامت العقوبة ضرورية ، ولا مدى لنا عنها ، فلنجمع بين ردع المجرم ( بالفعل ) ، وزجر غيره من المجرمين ( بالقوة ) .

٦ — غير أنه قد يخطئ بعض الناس في فهم القاعدة السابقة ، فينحون بالعقوبة نحو الصرامة ، زاعمين أن العقوبة التي تضرب مثلاً للغير يجب أن تمثّل بالمعاقب . لذلك ننصح بالقصد في العقوبة ، واستخدام حد أدنى منها ، مراعين أن يكون مرماً إعلان النعمة على الجريمة ، وإرضاء كرامة الجماعة ، بالنار لشرفها وعزتها ، من غير تدلّ إلى الشقي . يجب أن يتضح من غرض العقوبة أن جزاء سيئة سيئة مثلها . ويجب فوق ما تقدم إيقاظ الضمير ليكفل لنا الباقي من العمل وهو الترم ثم التوبة . وبعبارة أخرى ، يجب ألا تتجاوز العقوبة هذين الأمرين : بعث روح

(١) يتصح النزالي باتباع هذه الطريقة ، ولكن له في تطبيقها غلوا لا تردد في قدمه ، فهو يبالغ التكبر بجملة على التسول في الاسواق ، والبالغ في نظافة نفسه بجملة على تنظيف بيت الماء . راجع ما سيأتي في الكلام على العقوبة عند النزالي .

الاحترام للقانون الذى انتهكت حرمة ؛ وإصلاح حال المقترف -  
سواء أكان ذلك بلطمة أو بكلمة . ما أجل مايقول معاوية : إنى  
لا أضع سيفى حيث يغتبنى سوطى ، ولا سوطى حيث يغتبنى لسائى .  
وما أجل ما يقول المنفى :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ،

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا .

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلماء

مضر ، كوضع السيف فى موضع الندى .

وما قتل الأحرار كالفو عنهم .

ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا ؟

وخير ما أختتم به هذه النصيحة حديث الرسول عليه الصلاة

والسلام : « علق سيفك حيث يراه أهلك . »

٧ - يجب أن تتضمن العقوبة تعويض المجنى عليه حينما

وجد الى ذلك سبيل . وهذا عمل - إلى أنه طبعى - مهذب ،

ومصلح ، ومنظم للعقوبة ، ومرضى للمجنى عليه ، ومحقق لمعنى

العدالة ومظهرها . ولذا كفله الشرائع والقوانين ، على اختلاف

أنواعها ، حينما وجد الى تحقيقه سبيل . فالطفل الذى يمزق كتاب

أخيه يجب أن يلزم بإعطائه كتابه ، أو شراء كتاب آخر له من

ماله الخالص . والبنت التى تحلم زهرية أختها يجب أن تحمل على



تعويضها منها زهرية أخرى ، أو شيئاً يقوم مقامها ويرضى المجنى عليها ، ويرضى العدالة نفسها . يحدث هذا في غير جلبة ولا وضوء لأنه النتيجة المحتومة للتصرف الآخر .

٨ - وأخيراً يستطيع المرني الماهر أن يستخدم سلاح التهمك ، ذلك السلاح الماضي الذي هو أشبه بمبضع الجراح منه بسيف الجندي . ولم نرأفعل في النفوس من كلمة التهمك التي تعبر عن الحقيقة في صورة مضحكة مبكية - التهمك الذي هو مقياس للحقيقة ، فما استقام معه ، وناهضه فهو الحق ، وما خضع لسلاحه ، واختفى من أمله فهو الباطل . وما نحن ، في الحقيقة ، بمستطيعين تعريف التهمك ، فانه هبة من الله تعالى منحها بعض عباده . واني لأذكر على سبيل التمثيل أن طالباً في مدرسة ثانوية اعتاد - على الطريقة المصرية العقيمة - قراءة الهندسة بصوت مرتفع ليحفظ النظريات بحروفها التي في الكتاب ، وقد جاهد المؤلف في اقتناعه بخطأ هذه الطريقة بوسائل شتى ، فلم تنجح واحدة منها . وأخيراً لجأ الى التهمك ، فما إن سأل أحد الزائرين عن حالة تقدم هذا الطالب في علومه حتى أجاب المؤلف على مسمع منه : انه في تقدم مستمر ، فهو دؤوب على عمله ، وبخاصة في الهندسة ، و انك لتسمعه يردد نظرياتها بصوت مرتفع وأنت على بعد ميل من حجرته . وأشهد أني لم أسمع له بعد ذلك

صوتاً يردد هذه العبارات الهندسية ترديد البيغاء كما كان يفعل .  
 كذلك يذكر المؤلف أنه ، في أثناء تدريسه في المدارس  
 الثانوية ، صادفه طالب يعتز بنفوذ والده ويتخذ منه مشجعاً على  
 التعالي على زملائه واتقاصهم . وكان علاجه في كلمة تهكم شفت كل  
 مابه من كبر وخيلاء : ففي ذات يوم نهض طالب من زملاء هذا  
 الطاغية الصغير يقول لي يا أستاذي ان فلاناً هذا قد أهانتني مرات  
 عدة ، وأنا أرفع أمري اليك لتقضي بيننا يا تراه عدلاً . فالتفت  
 الى ذلك الشاكي وقلت له : اي جرأة تلك التي حملتك على النهوض  
 للشكوى من شخص نعدّه جميعاً سيّداً لنا ، وزى فخراً ورفعة أن  
 ينالنا بالفاظله الجارحة كلما شاء وشاء له أدبه السامي ؟ اني أيها  
 الطلاب الاعزاء لم أرفى حياتي أجراً من أخيك الشاكي ، فكأنه  
 لم يعلم بعد أن الناس ينقسمون طبقتين : طبقة السادة وطبقة  
 العبيد ، وأن للسادة أن يفعلوا بعبيدكم ما يشاؤون ، يسومونهم  
 الخسف لا يلقون عليه كلمة عتاب أو ملام أو بعدد ذانفتظر مني أيها  
 الشاكي أن أقوم لك به ، وأنا نفسي أخشى أن يمتد أذى صديقنا  
 هذا الي ؟ لاني أراني وإياكم في طبقة ، وهو في طبقة أخرى .  
 وأقسم لو أن سباط العذاب مجتمعة ألهمت ظهر ذلك الفتى  
 ما أثرت في نفسه ما أثرت كلماتي ، فقد أصبح منذ ذلك اليوم  
 مثلاً يحتذى في الدماثة ولين الجانب .  
 وأريد ألا أترك هذه النصيحة الا مصحوبة بنصيحة أخرى :

هى أن التهمك سلاح ذو حدين ، فكما يصلح كذلك قد يقتل . فلا يقدمن على استخدامه الا مرب حازم لبق ولولا خشية الخروج عن موضوعنا الاساسى لأطلنا القول فى التهمك وقائده .<sup>(١)</sup>

(١) التهمك سلاح طبيعى فى الانسان ، ولكن الامم تختلف فى مقدار نصيبها منه ، كما تختلف الامة الواحدة فى عصر من العصور عنها فى عصر آخر . وأقدم تهمك عرفه الادب كان عن هوميروس ، ثم على لسان أفلاطون . وقد استخدم القرآن الكريم التهمك ، كما هو معروف لمن درس بلاغة القرآن . ومن أشهر الكتاب المتهمكين فى الغرب .

Dante, Cervantes, Molière, Voltaire, Goethe, Schiller, Swift, (ولسوف رحلات جلفر ، نقلها الى العربية منذ مدة طويلة سعادة عبد الفتاح صبرى باشا)

Samuel Butler, Bernard Shaw

( ويعتبر شو أقوى منهم عرفه الادب الى الآن . )

ومن فرسان التهمك قديماً عند العرب الجاحظ ، وابن زيدون صاحب الرسالة الهزلية . وفى مصر فى العصر الحديث : المرحومون السيد عبد الله نديم ( صاحب التنكيت والتبكيت ، والطائف ، والاستاذ ) وحفنى بك ناصف ( راجع على الأخير قصيدته التى أولها :

رفقتى حسا ومعنى فطعنك الشذر انتنى

والسيد محمد المويلحى ( صاحب حديث عيسى بن هشام ) . ولولا أن الصحافة الهزلية الآن غارقة فى لجج السياسة لكانت لنا مبينا عن رذائلنا الاجتماعية ، التى مهما كتبت فيها الصحف العادية لا تستطيع أن تصورها لنا فى الصورة التى تحملنا على الاشتراز منها . ومن شاء تفهم هذا الموضوع فليرجع الى كتب النقد الادبى وقد يجد ما يتطلبه فى :

1-The Encyclopaedia Britannica, under "Satire" & "Irony"

2-Godwin Smith, "Cowper" ( English Men of Letters".

المقطف عدد نوفمبر سنة ١٩١٦ - 3

## الفصل الخامس التبعة أو المسئولية

يجب ألا يفوتنا في بحث العقوبة أن نستوثق من مبلغ مسئولية الشخص الذي ننوئ ازال العقوبة به . قد سبق أن قررنا أن النية والقصد شرط أساسي في الجريمة . ولذلك نجد الشرائع السماوية والقوانين الوضعية قيد التكليف بالعقل ، لأنه ليس للمجنون قصد ، فليس له جريمة ، واذن فليس عليه عقوبة . غير أن من الفلاسفة من يغالى في هذا فيذهب الى أن جميع الجرائم دليل على درجة ما من درجات الجنون ، وانه لذلك يجب أن نستبدل بسجوننا مستشفيات عقلية واصلاحيات نعالج فيها المجرمين . ولا شك أن أنصار هذا الرأي من « الجبريين » الذين يرون أن سلوك المرء صدى لما يحيط به من الظروف والاحوال ، لا صدى لما يحول بنفسه من الميول والآمال <sup>(١)</sup> . غير أننا لا نستطيع أن

(١) ويمرض هؤلاء فئة أخرى تنهب الى التقيض : معلنه أن المرء مختار في كل حالة من الاحوال التي تبدو لنا قهرية . ولبسان هؤلاء يقول سفت هيلر : « ان ارادة الانسان لا تظهر ، وليس في العالم شيء يستطيع أن يثقل على أمرها على الرغم منها . »

تجاري هؤلاء المفكرين ، لأننا نرى ان المرء مختار في افعاله ،  
وانه بناء على ذلك يجب أن يلقى جزاء اختياره .

أما المجانين ومن في حكمهم فقد حيل بينهم وبين اختيارهم ،  
لأنه حيل بينهم وبين عقولهم ؛ ولذلك لم تلزمهم نتائج أعمالهم - إذا  
صح لنا أن نسميها أعمالهم على أن المسئولية تختلف درجاتها حتى  
مع غير المجانين ومن في حكمهم ؛ فثمة أمور قد تسلب المرء إرادته  
موقتاً ، كالغضب <sup>(١)</sup> ، والثورة للمرض ، والدفاع عن النفس ،  
والفسيان ، والاكرام . والجلل نفسه ، إن لم يُعف أحياناً ، فكثيراً  
ما يخفف العقوبة <sup>(٢)</sup> ؛ لأنه في هذه الحالة يندرج تحت الاعمال  
التي سترت فيها إرادة المرء ، والتي يقول فيها أرسطاليس : « الاعمال  
غير الارادية لا تستوجب اللزم ، بل هي تستأهل العفو ، وأحياناً  
الرحمة » <sup>(٣)</sup> وهو يشبه الفاعل في هذه الأحوال بمن جذبته ريح  
لا قبل له بمقاومتها ، أو تحكّم في إرادته قوم لا مفر له من طاعتهم ،  
أو بصلاح في عاصفة يلقى في البحر حمولته ؛ مستدلاً على عدم ارادية

(١) يرى مكنتزي أن الرجل اذا أهمل في تقويم نفسه وكبح غضبه ، لم  
يعفه غضبه من المسئولية . وبذلك جاء التشريع الاسلامي : « ليس الشديد  
بالصرع ، انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب . »

(٢) المذنب يجهل القانون غير مقبول قانوناً . راجع مقدمة القانون للاستاذ  
أحمد صفوت بك ص ١٢٩

(٣) الاخلاق الى نيقوماخوس ، الكتاب الثالث ، الباب الاول .

هذه الأعمال بأنه لا أحد يقدم على عمل منها لذاته .<sup>(١)</sup> وقيس  
أرسطو ارادية الافعال بمقياس أخلاقى دقيق ، هو الندم والالتم  
الذى يتبع أداء العمل . فإذا شعر المرء بندم وألم عقب فعل من  
« الافعال المختلطة » كان ذلك الفعل غير ارادى ، والا كان اراديا .

والأخلاقية الاسلامية صريحة فى عدم الموازنة على الاعمال  
غير الارادية : « فَمَنْ اضْلَمَ غَيْرَ بَاطِلٍ وَلَا عَدْلٍ فَلَا يُنَمُّ عَلَيْهِ . »<sup>(٢)</sup>  
« لكل امرئ ما نوى ، ولا نية للمخطئ » والناسى . « وقد جمع  
الحديث الآتى جميع الأحوال التى تعطل الارادة تعطيلاً يعنى من  
المسئولية : « رفع عن أمتى الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا  
عليه . » غير أن الاسلام لم يترك هذا الباب مفتوحاً  
على مصراعيه يلجج كل من شاء أن يتخلى عن مسئوليته ،  
فقد وضع الفقه الاسلامى قيوداً وشروطاً للخطأ والنسيان  
والاضطرار ، هى فى الدقة بالغة للغاية . ومن شأن الاطلاع فليرجع

(١) يطلق أرسطو على هذه الافعال وأشباهها اسم « الاعمال المختلطة »  
وهى تسمية تبدو لنا فى منتهى الحكمة لان بها قدرأ من حرية الارادة  
( ولويين شرين ) وقدرأ من الاضطرار . ورأى أرسطو فيها موضع جدل  
شائق بين شراعه فليرجع اليه من شاء فى مثل الكتب الآتية :

Saint Hilaire ; Wallace, Outline of the Philosophy  
of Aristotles.

إلى أهمات الكتب في الفقه . ولكني لا أترك هذه النقطة من غير مثال واحد ، على الأقل ، أبين به تلك الدقة النادرة للعقلية الإسلامية وأخلاقيتها . فيرفع الحد عن واقع مطلقة ثلاثاً وهي في العدة ظناً منه أنها تحمل له لأن لحظته أساساً معقولا ، اذ الممتدة في حكم المتزوجة من وجوه كثيرة ؛ ولكن ذلك التسامح لا يقتل من واقع امرأة أجنبية عنه وجدها على فراشه ، ولوادعي أنه ظنها امرأته لأنه لا اشتباه بعد طول الصحبة ، وكذا اذا كان أعمى ، لأنه يمكنه التمييز بالسؤال ونحوه ، إلا اذا دعاها فأجابته وقالت أنا زوجتك لأن الاخبار دليل .<sup>(١)</sup>

## المسئولية والبحوث الحديثة

### في علم النفس التحليلي

لقد بعث علم النفس التحليلي أشعة من ضياء البحث على ظلام الجريمة فأظهرها في صورة لم تكند تكون معروفة من قبل . وعلماء هذا العلم يظهرون الفئة القائلة بعدم مسئولية المجرم ( أو

(١) « الهداية » في فقه الحنفية باختصار . — ومن شاء الزيادة في درس « المسئولية » من الوجهة القانونية فليرجع الى كتب القانون وهي كثيرة بالمرية ، أذكر منها على الخصوص شرح القسم العام من قانون العقوبات لبي بك زكي المرابي .

المريض كما يفنى أن يسمى في اصطلاحهم . ( ) ويحمل لواء علم النفس التحليلي الآن العلامة النمساوي فرويد<sup>(١)</sup> ودعواه هي أن الأعمال الانسانية خاضعة للتأثير بالرغبات المحتبسة في النفس ، الناشئة في كثير من الاحوال عن التربية الفاسدة فهذه الرغبات التي احتبست تتقعر الى « العقل الباطن » ثم يفلب أن تظهر في سلوك المرء في وقت من الاوقات . ولذلك نلاحظ ، كما يقول فرويد ، أن كثيرا من أحلامنا ليست الانحقيقاً في عالم الأحلام ، لما عجزنا لسبب ما عن تحقيقه في عالم اليقظة . (٢)

ولقد نشأ عن هذه الدعوى أن المجرمين يجب ، قبل أن يقدموا للقضاء ، أن يعرضوا على الخبير النفسي الذي يحاول أن يعرف إلى أى مدى تعد هذه الجرائم نتائج لتلك الرغبات المحتبسة وما إليها مما هو راجع الى سوء التربية الاولى . فإذا ثبت له هذا وجب أن تكون العقوبة أقر - الى عمل الطبيب النفسي منها الى عمل مأمور السجن . وجميع الدول الراقية الآن تأخذ بهذه النظرية في جرائم المجننين والمحبولين . ولعل الولايات المتحدة الامريكية هي أسبق الدول الى تطبيق نظرية فرويد على الجرائم التي لا تصدر عن

(١) "Sigmund Freud" وجميع كتبه مترجمة الى الانجليزية ، ومسطها مترجم الى الفرنسية والاطالية .

(٢) راجع كتابه في تأويل الاحلام : Die Traumdeutung



المجانين والمحبولين المترف بجنونهم وخبلهم. <sup>(١)</sup> ولذلك عنيت  
 عناية خاصة بنظام سجونها ، ومعاملة المجرمين فيها . ومن أحدث  
 نظم السجون الأمريكية « نظام الشرف » ، <sup>(٢)</sup> وهو يخول  
 السجناء الخروج من السجن متى وعد بشرفه بأنه لن يحاول الهرب ،  
 وبأنه سيعود في الساعة المحددة . وقد جرب هذا النظام لأول  
 مرة في أوريغون منذ أكثر من عشرة أعوام . وكان السجناء  
 يخرجون للعمل خارج السجن من غير حارس ولا رقيب . ولقد  
 نجحت الطريقة نجاحاً باهراً حتى إن كثيراً من سجون الولايات  
 المتحدة اتبعتها . وفي سجن أهيو أكثر من ثلثمائة سجين يعملون  
 خارج السجن ، وبعضهم على مسافة تبلغ أربعين ميلاً من السجن  
 وبعضهم من غير رقابة مطلقاً ، وبعضهم برقابة من السجناء أنفسهم .  
 وأول جماعة جرب معها هذا النظام في أهيو كانت ثمانين وثلثمائة  
 سجين لم يخلف وعده منهم إلا ثمانية عشر ، ومع ذلك قد عاد  
 من هؤلاء تسعة .

(١) عقد في لندن مؤتمر دولي للسجون سنة ١٩٢٥ وجاء في قراراته :  
 أنه يجب على انقضاء الوقوف على أخلاق المجرمين وسوابقهم ، وأن يكون  
 لهم الخيار في توقيع العقوبات للزجر وتحقيق الأمن ، وأن يحتمل على من يرشحون  
 للقضاء أن يحضروا دروساً في علم النفس وعلم الاجتماع ، وأن يلزم القضاء بحالة  
 السجناء أماماً تاماً . وقد عنيت كلية الحقوق الملكية بمصر بتدريس علم  
 النفس لطلابها في عهدها الأخير ، وهي حركة ميمونة نرجو لها التوفيق .

(٢) "Honor System"

وهذا النظام متبع أيضاً في جاكسون ، ومينيسوتا ، بنجاح عظيم .<sup>(١)</sup>

وقد أنشئ حديثاً في ضواحي نيويورك سجن جديد للنساء يتألف من اثني عشر طابقاً ، وبه فناء فسيح ، وحديقة جميلة ، وملاعب للتنس وأمكنة متعددة للألعاب الرياضية المختلفة وفيه الى جانب ذلك مكتبة عظيمة بها أكثر من خمسة آلاف مجلد في الآداب والعلوم والفلسفة . وقد أصبحت السجينات في هذا السجن ينمن في غرف مهيبة تصل اليها الشمس والهواء بدل نظام « العنابر » القديم . ويتولى ادارة هذا السجن طائفة من السيدات الخبيرات ، بعضهن ناظرات ، وحارسات ، وبعضهن طبيبات وممرضات .<sup>(٢)</sup>

وليس المقصود من النظرية السابقة ، ولا مما هو جار في هذا السجن الحديث وأشباهه ، ألا عقوبة مطلقاً ؛ فهناك السجن قبل كل شيء بما فيه من قيود للحرية . ولكن المقصود هو أن العقوبة يجب أن تكون طيبة كما قررنا سابقاً .<sup>(٣)</sup>

(١) عن Dow, Society & Its Problems.

(٢) عن جريدة "La Liberté" التي تصدر بالقاهرة ، ترجمة « البلاغ » الصادر في ١٤ ابريل سنة ١٩٣٢ - بصرف . (٣) راجع Dow, Society & Its Problems , Chapters XXII & XXIII.

ويرجع مَكِينِي المجرمين الى قتات أربعة : (١) فئة لاشك في جنونها . (٢) فئة تصاب بنوبات واضطرابات عصبية . (٣) فئة تتبع مبادئ خاطئة ولكن مع اعتقاد أنها صواب . (٤) فئة مستهزئة لا تكثرث للتبعية الاخلاقية . وهو يرى أن مجرم الفئة الاولى يجب أن يحجز ، وأن يعالج بأحدث ما أوصلنا إليه الطب . وأن مجرم الفئة الثانية يجب أن يستشار في شأنه خبير بعلم النفس التحليلي . وأن مجرم الفئة الثالثة يجب أن يحجز ، وأن يحاول إقناعه بخطأ رأيه . أما مجرم الفئة الرابعة فخير بالعقاب الذي قد يبدأ بوسائل الاصلاح ، وقد ينتهي بالاعدام .

### النعم :

إذا ارتكب المرء جرماً ثم فكر فيه بعد أن عمله ، فشر بالمرء نفسى لذلك الجرم ، فذلك الألم النفسى هو النعم أو تأنيب الضمير . فان انتقل المرء خطوة بعد هذه ، بأن حمله ذلك التأنيب على إصلاح نفسه وتحاشي ذلك العمل وما شابهه في المستقبل ، فقد أخذت التوبة تدب في نفسه . وينشأ النعم من شعور المرء بأن فعله يناقض مثله الأعلى ، أو مبندأه الأخلاقى الذى ارتضاه لنفسه ، أو علله النفسى الذى اعتاد أن يعيش فيه . فعين النعم ترفو بحسرة إلى

ذلك الماضي الذى أصبح فى غير قدرة البشر تغييره ، وعين التوبة تتطلع إلى المستقبل ، يدفعها الأسف على ماضى ، ويجذبها الأمل فى إصلاح ما تبقى . لهذا كان المخطئ ، وهو فى حالة ندم فقط ، فى حالة موت نفسى ؛ <sup>(١)</sup> أو هو ما فى حالة توبة حقيقية ، فإنه يكون فى حالة حياة نفسية عظيمة .

غير أن ضمائر الناس تختلف حساسيتها ، فليس ذلك السراج الواج الذى يضئ للناس سبيل الحياة ، سواء فى جميع الناس . أما السراج فمع كل انسان ، وأما وهيجه فمختلف باختلاف الناس : فمنهم من سراجهم وهاج ، ومنهم من سراجهم مضئ ، ومنهم من سراجهم ومضئ ، ومنهم من سراجهم مظلم لا نور فيه . وبعبارة أخرى : منهم ذو النفس الراضية المرضية ، ومنهم ذو النفس اللوامة ، ومنهم ذو النفس الامارة بالسوء .

والتأنيب فى أرق درجاته ليس أليم الانسان لانه اتركب خطيئة بعينها ، بل هو الحزن على أن المرء قد تدهور تدهوراً عاماً من المستوى الأدبى الذى كان يعيش عليه ، وأن ذلك الجرم

(١) لى شكبير قد وفق الى تصوير هذه الحالة حين ينطق مكبت عقب جريمته بهذه العبارة : « حرام على جفنيك الناس ! مكبت لقد قتل مكبت الناس .. وهل فى استطاعة البحر الحضم أن يغسل ماؤه الزاخر تلك الدماء من يدي ؟ كلا ! بل الاوجع أن يدي هى التى ستغضب بما عليها من دم فإن خفرة المحيط الاعظم . » Macbeth, Act. ii, Sc. ii, 35, 36, 60, - 63.

---

دليل الانحطاط العام في أخلاقه ؛ وأنه لم يرتكب فعلاً جزئياً ،  
ولكنه خرج على القانون الاسمي للأخلاق ؛ وأنه لذلك يحتاج إلى  
استئناف حياة جديدة طاهرة . ولا شك في أن هذا الشعور هو  
الذي يقود صاحبه إلى الإصلاح .

---

# الفصل السادس

## العفو

### الفرض منه العفو

لقد قررنا أن عمل العقوبة هو أن تشعر المذنب بذنبه ، وأن تقبه الى أنه انتهك حرمة القانون ، عسى أن يقوده ذلك الى التوبة والاصلاح ؛ وبذلك تصبح الجريمة ملغاة حقيقة أو حكماً .  
فإذا أمكن الوصول الى هذه الغاية بوسيلة أخرى أقل كلفة لم يكن من الحزم الاصرار على استخدام العقوبة . لذلك كان العفو أحياناً ، كما قلنا في مقدمة هذا الكتاب ، صورة من صور العقوبة ؛ بمعنى أنه قد يحقق غرضها من الاصلاح . ولا شك أنه للصغار الزم .

غير أن العفو كالتهمك سلاح غير مأمون إلا في يد المربي الحكيم ، فله مخوس خاصة ، وظروف خاصة ، وذنوب خاصة <sup>(١)</sup> .  
وإذا أسيء استخدامه أو أسرف فيه كان جنائية محقة . وما أحكم

(١) يقول الملاحظ في « سياسة الحزم » من لم يصل بإقامة جزاء السيئة والحسنة ، وقتل في موضع القتل ، وأجأ في موضع الأحياء ، وعفا في موضع العفو ، وعاقب في موضع العقوبة ، ومنع ساعة المنع ، وأعطى ساعة الاعطاء . خالف الرب في تدييره ، وظن أن رحمته فوق رحمة ربه .

وصية الرشيد لمعلم ولله الأمين إذ يقول فيها : « ولا تمن في مسامحته فيستحل الفراغ ويألفه ؛ وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدّة والغلظة »

لذلك جاءت الشرائع والقوانين بالعمو كما جاءت بالعقوبة .<sup>(١)</sup> ولكنها وضعت في صور لا تعرضه للمهانة والابتذال ، حتى لا يطمع فيه من لا يستأمله . فقد جعل للعمو من حق الملوك ورؤساء الجمهوريات<sup>(٢)</sup>

### العمو في الإسلام : نظرية المؤلف فيه

أما العفو في الإسلام فله مقام لم يبلغه في أية شريعة أخرى ، ولا في أي قانون آخر . وقبل أن أدلي برأي فيه أسوق هنا آيات العفو التي وردت في القرآن الكريم ، فهي أساسها قد بنيت نظريتي في « العفو الإسلامي » .<sup>(٣)</sup>

(١) « ان ربك لغفور مبين » سورة طه الآية ٤٣ - فصلت - ٤٣ « ان ربك سريع العقاب ، وانه لغفور رحيم . » الانعام - ١٦٥  
(٢) راجع المادتين ٦٨ ، ٦٩ من قانون العقوبات الاهلي ، وكذلك شرح قانون العقوبات لابي زكي الرازي بك صفحات ٢٥٧ - ٢٦٠  
(٣) قد أوردت الآيات الصريحة في موضوعنا ، تاركا عشرات الآيات المتشابهة في اللفظ والمعنى مما ليس قصاً فيها نحن فيه ، من أمثال قوله تعالى : « ان الله غفور رحيم . » بما تحتم به كثير من الآيات .

(١) « ثُمَّ مَغْفِرَانَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ،  
البقرة - ٥٢

(٢) « فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ . »

البقرة - ١٠٩

(٣) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ: الْحَرْءُ بِالْحَرْءِ ، وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ، وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى . فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِ إِلَى إِلَهِهِ بِإِحْسَانٍ . ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ . فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . »  
البقرة - ١٧٨

(٤) « وَأَنْ تَذَفُّوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ . إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . »

البقرة - ٢٣٧

(٥) « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوكُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . »  
آل عمران - ١٣٣ ، ١٣٤



( ٦ ) « وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ، وَآلَهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ . »  
آل عمران - ١٥٢

( ٧ ) « وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . »  
آل عمران - ١٥٥

( ٨ ) « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ . وَلَوْ كُنْتَ  
فُظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ . فَاعْفُ عَنْهُمْ ،  
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . » آل عمران - ١٥٩

( ٩ ) « لَتَبْلُوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَسْمَعُنَّ  
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ  
أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا . وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ  
عَزْمِ الْأُمُورِ . »

( ١٠ ) « فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ . »  
المائدة - ١٣

( ١١ ) « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ

لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو

عَنْ كَثِيرٍ . . . المائدة - ١٥

( ١٢ ) « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ سَلَفٌ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ

مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ . . . المائدة - ٩٥

( ١٣ ) « إِنَّ رَبَّكَ سَرِيمٌ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . . .

الأنعام - ١٦٥

( ١٤ ) « وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ . . . الرعد - ٦

( ١٥ ) « وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ، وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَیُذِرُونَ

بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةَ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . . . الرعد - ٢٢

( ١٦ ) « فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ . . . الحجر - ٨٥

( ١٧ ) « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ

بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ . . . النحل - ١٢٦

( ١٨ ) « ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ، ثُمَّ  
بَنَى عَلَيْهِ ، لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ . »

الحج - ٦٠

( ١٩ ) « وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ  
أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى ، وَالْمَسَاكِينَ ، وَالْمُهَاجِرِينَ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ . وَلْيَعْفُوا ، وَلْيَصْفَحُوا . أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ  
اللَّهُ لَكُمْ . وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . »

النور - ٢٢

( ٢٠ ) « وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ . اذْفَعُ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ  
وَلِيٌّ مَحْمُودٌ . وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاها  
إِلَّا الْأَذْوَ حَظٌّ عَظِيمٌ . »

فصل - ٣٤ ، ٣٥

( ٢١ ) « إِنْ رِبَكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ . »

فصل - ٤٣

( ٢٢ ) « وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ  
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ . »

التورى - ٢٥

(٢٣) «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِيكُمْ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.» الثوري - ٣٠

(٢٤) «أَوْ يُؤْفَكُوا بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.»

الثوري - ٣٤

(٢٥) «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الْأَثْمِ  
وَالْفَوَاحِشَ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ.»

الثوري - ٣٧، ٣٦

(٢٦) «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، فَمَنْ دَفَأَ

وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ.» الثوري - ٤٠

(٢٧) «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ.»

الزخرف - ٨٩

(٢٨) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ

وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوِّكُمْ فَأَحْذَرُوا مِنْكُمْ فَإِنْ تَعَفَّوْا، وَتَصَفَّحُوا

التأمين - ١٤

وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.»

تلك هي آيات العفو في الكتاب الكريم ، وقد هدانا  
بحسبها الى الملاحظات الآتية :

١ - ليس العفو أصلاً في المعاملة بين الناس ، لانه قد  
زائد على العدالة ، ولذلك لم يفرضه الله تعالى ، بل رغب فيه  
بوسائل شتى . ومن ثم كانت العقوبة تذكرة تارة قبله وتارة بعده  
« كتب عليكم اتقوا في القتلى . . . . . » . فمن عفى له من  
أخيه شيئاً . . . . . » - « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم  
به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » - « وجزاء سيئة سيئة  
مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله » - « وان ربك لذو  
مغفرة للناس على ظلمهم ، وان ربك لشديد العقاب . »

٢ - ترىنا الآيات السابقة أن العبارات التي استخدمها  
القرآن في العفو مغرية به ، فقد وصف الله تعالى نفسه ورسوله ،  
والمقرئين من عباده ، بالعفو في عبارات متعددة ، ليضع أمام  
عباده مثلاً علياً يهتدون بها من غير إلزام . « ولقد عفا عنكم  
والله ذو فضل على المؤمنين » - « وهو الذي يقبل التوبة عن  
عباده ويعفو عن السيئات » - « ولقد عفا الله عنهم ان الله  
غفور رحيم » - « قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم  
تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير » - « ولا تستوى  
الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فاذا اتى بئسك وبينه

عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها (١)  
الا ذو حظ عظيم .

٣ — لأن العفو ليس الأصل في التقاضى ، لم يشأ الله تعالى  
أن يأمر به ، لملحه — جل ثناؤه — بأن في الطبيعة البشرية ألا  
تأتمر أولاً ، وألا تأتمر بما تشعر بأن فيه تنازلاً عن حقها ثانياً .  
لذلك لم يأت العفو في صيغة الامر إلا نادراً ، تحاشياً لامارة روح  
العناد الخبيثة في نفوس البشر : « وأن تمعوا أقرب للتقوى ، ولا  
تقسوا الفضل بينكم . » — « والكاذبين الغيظ والمافين عن  
الناس . » — « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم  
الامور . » — « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . » — « فمن  
عفا وأصلح فأجره على الله . »

٤ — اذا رجعنا الى الآيات القليلة التي جاء العفو فيها بصيغة  
الامر لاحظنا فيها أمرين هامين : أحدهما ، أنها لم تكن خطاباً  
مباشراً لدهاء الناس الذين يغلب أن تنور فيهم روح العناد ،  
اذا أمروا بالتنازل عن حقهم في القصاص . فتعبيهم عن إدراك  
حكمة العفو البالغة ، وإنما كانت — اذا استثنينا آية البقرة (١٠٩) —

---

(١) الضمير في يلقاها عائد على تلك السجية وهى مقابلة الاساءة  
بالاحسان . وهى منزلة الخاصة من الناس .

خطاباً لمن طهرت نفوسهم من خبث التعصب للنفس والعناد .  
 أعني للرسول الكريم في قوله تعالى : « فاصفح عنهم وقل سلام . »  
 وقوله « فاعف عنهم واصفح . » وقوله « فاصفح الصفح الجميل . »  
 وقوله « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف  
 عنهم ، واستغفر لهم . » أولصديقه الصديق أبي بكر رضى الله عنه  
 في قوله تعالى « ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى  
 القربى ، والمساكين ، والمهاجرين في سبيل الله . وليعفووا  
 وليصفحوا . ألا تحبون أن يغفر الله لكم . والله غفور رحيم . »  
 وقد نزلت هذه الآية في حديث الافك ، حينما آلى أبو بكر ألا  
 يفتق على مسطح بن أثانة لأنه كان قد خاض في الافك . فلما سمع  
 أبو بكر الآية الكريمة قال : « بلى ، والله إنى لأحب أن يغفر الله  
 لى . » فرجع الى مسطح الذى كان يجرى عليه .<sup>(١)</sup> أو جاء الامر  
 خطاباً للمقربين من عباد الله تعالى الذين يغلب ألا يتحرك العناد  
 في نفوسهم ، في قوله عز شأنه : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة .  
 ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا اتى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم .  
 وما يُلَئِنها إلا الذين صبروا ، وما يُلقاها إلا ذو حظ عظيم . »<sup>(٢)</sup>

(١) اراجع حديث الافك في « تاريخ السيدة عائشة أم المؤمنين » للمؤلف

ص ٥ - ١٣ أو في كتاب من كتب الحديث .

(٢) اراجع تعليقنا على هذه الآية في حاشية الملاحظة الثانية ص ٨٢

ثانيهما : أن صيغ الامر بالعفو ينذر أن ترد مجردة ، وإنما يسبقها أو يلحقها عبارات ملطفة للأمر ، ومحرضة على الطاعة والامتثال . تدبر قوله تعالى : « فاعف عنهم واصفح إن الله يحب الحسنين . » وقوله « ولو كنت فضلاً غليظ القلب لا نفثوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم . » وقوله « وليعفوا وليصفحوا . ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » وقوله « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم . » (١)

٥ أما الآية الوحيدة التي ورد فيها العفو بصيغة الأمر في خطاب الامة « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره . » فقد قصد منها فيما أرى التفتية إلى شدة العناية بالعفو والأخذ به ، حتى لا تكون جميع آيات العفو خالية من صيغة الامر . فإذا قرنت هذه الآية بغيرها من الآيات الأخرى استنبط الناس من المجموع

(١) يلاحظ أن عبارات التلطيف التي تصحب الامر تتفق وحالة المخاطب قريبا من افقة تعالى : فهي في آيات أمر الرسول أقل منها في آية أمر أبي بكر . وهي أكثر ما تكون في هذه الآية التي فيها الخطاب للخاصة كما بينا .



المرمي السامى الذى رعى اليه الله تعالى . ذلك الى أن الأمر كثيراً ما يأتى لغير الالتزام ، فى القرآن وغير القرآن من كلام العرب ، فلا مانع من أن تكون قد وردت للنصح والارشاد ، أو للندب ، أو للإباحة ، أو للتخيير ، على حد قوله تعالى : « فكتبوهم ان علمتم فيهم خيرا . » وقوله « وإذا حلتم فاصطادوا . » وقوله « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله . » وقوله « وكلاوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود . »

٦ — نلاحظ كذلك أن القرآن الكريم كلما عرض للعفو ذكره فى عبارات مطبئة مؤكدة ، بالترادف ، أو المفعول المطلق ، أو ما إليهما . وسبيل التأكيد فى الكلام لا يسلك إلا الحكمة بلاغية . وهى هنا زيادة التنبيه إلى الصفح ، وتحمينه ، والحض عليه . وذلك موافق لما قررناه من أن الله تعالى أراد أن يحض على العفو بكل الوسائل الممكنة ، لأنه ليس العدل ، وإنما هو منزلة فوق العدل ، قد تسمو على نفوس بعض البشر . تدبر قوله تعالى « طاعفوا واصفحوا . » وقوله « إن الله غفور حلیم . » — « طاعف عنهم واصفح . » — « طاصفح الصفح الجميل . » — « وليعفوا وليصفحوا . » — « فن عفوا وأصلح » — « وإن تعفوا ، وتصفحوا ، وتغفروا . »

٧ — وأخيراً يملك نفوسنا الإعجاب والروعة لكثرة الآيات التي نزلت في موضوع العفو، تلك الكثرة التي توظف النفوس إلى ذلك المعنى السامى، والمبدأ الخطير، الذى يفعل ما لا تفعل العقوبة؛ والذى إذا أحسن استخدامه قام بما تقوم به العقوبة من غير أن يعقب من ضرور العقوبة شراً. فهو ينتزع الإحزن من القلوب، ويستل السخائم من الصدور.

وبعد، فما قتل الأحرار كالعفو عنهم. وإنك لا تكاد تقرأ لكاتب، أو شاعر، عربى، أو غربى، من غير أن تجد له في العفو قولاً يؤيده، أو بيتاً يردده. ولعل خير ما كتب في هذا الموضوع مقالة الجاحظ التي نختتم بها هذا البحث. <sup>(١)</sup>

### العفو هنر الجاحظ <sup>(٢)</sup> :

من انتقم قد شفى غيظ نفسه، وأخذ أقصى حقه. وإذا انتقمت قد انتقصت، وإذا عفوت قطولت. ومن أخذ حقه، وشفى غيظه، لم يجب شكره، ولم يذكر في العالمين فضله. وكظم

(١) هي غير مقالة سياسة الحزم، التي اقتبسنا مقرة منها في إحدى الحواشي السابقة.

(٢) إذا تدبرت ما جاء في هذه المقالة الفيتية جيه مأخوذاً من القرآن الكريم والحديث الشريف. وسنشير في الحواشي الآتية إلى أهم النقط.

الغليظ حلم ، والحلم صبر . والتشفي طرف من العجز . ومن رضى ألا يكون بين حله وحال الظالم إلا ستر رقيق ، وحجاب ضعيف ، لم يجزم في تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم .<sup>(١)</sup> ولم تر أهل النهي ، والمنسويين إلى الحجب والتقي ، مدحوا الحكم بشدة العقاب وقد ذكروهم بحسن الصفح ، وبكثرة الاعتذار ، وشدة التغافل .

وبعد فالعقاب مستعد لمداد أولياء المذنب ، والمعاق مستدع لشكرهم آمن من مكافأتهم أيام قدرتهم .<sup>(٢)</sup> ولأن يثني عليك باتساع الصدر ، خير من أن يثني عليك بضيق الصدر . على أن أقالئك عثرة عباد الله موجب لأقالئك عثرتك من رب عباد الله .<sup>(٣)</sup> وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك .<sup>(٤)</sup> وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك .

(١) اخذ هذا المعنى من الآية الكريمة : « وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله . أنه لا يحب الظالمين . » فتذكير الله لنا بالظلم في موضع العفو للتنبيه على أن من أصر على استيفاء حقه لم يكن بينه وبين الظلم إلا ستر رقيق ربما اخترقه . تدبر الحديث الشريف . « من استقصى في حقه لم يترك للشر مأزعا » .

(٢) من قوله تعالى : « فإذا التقى بَيْنك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . »  
(٣) من الحديث الشريف : « من أقال مؤمنا عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة . » (٤) من قوله تعالى : « وإن عفوا ، وتصفحوا ، وتغفروا فإن الله غفور رحيم . »

# الفصل السابع

## فلاسفة العقوبة

أهم آرائهم — م فيها

في هذا الباب الذي يتم به هذا الكتاب ، أؤيكاد ، سأعرض  
لستة فلاسفة تكلموا في العقوبة ، ثم أقد آراءهم وأحصها . ومن  
هؤلاء الفلاسفة ثلاثة من المسلمين ، وثلاثة من الاوربيين : أحدم  
ألماني ، وثنانهم فرنسي ، وثنانهم انجليزي :

ابن سينا ٣٧٠ — ٤٢٨ هـ ( ٩٨٠ — ١٠٣٧ م )

الفزائي ٤٥٠ — ٥٠٥ هـ ( ١٠٥٨ — ١١١١ م )

ابن خلدون ٧٣٢ — ٨٠٨ هـ ( ١٣٣٢ — ١٤٠٦ م )

هيكل G. W. F. Hegel ( ١٧٧٠ — ١٨٣١ م )<sup>(١)</sup>

روسو J. J. Rousseau ( ١٧١٢ — ١٧٧٨ م )

هربرت سبنسر Herbert Spencer ( ١٨٢٠ — ١٩٠٣ م )

(١) تاريخيا يأتي روسو قبل هيكل . ولكني أخرته عنه للصلة القوية بينه  
منهجه في القوية الطبيعية ومنهجه سبنسر فيها .

العقوبة عند ابن سينا : (١)

(١) يرى ابن سينا أن « حسم الداء خير من علاجه . » وهو لذلك ينصح المربي بإبعاد المغريات عن الطفل ، حتى لا يقع في خطيئته فاضطر من أجلها لعقوبته : « فإذا فطم الصبي عن الرضاع بدى بتأديبه ورياضة أخلاقه ، قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللثيمة ، وتفاجئه الشيم الذميمة . فإن الصبي تتبادر إليه مساوىء الاخلاق ، فإتسكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعاً . فيبغى لِقَمَتِهِ أن يجنبه مقابح الأخلاق ، وينكب عنه معاييب العادات . »

(٢) يعتمد ابن سينا في العقوبة على صلة المربي بالطفل ومنزلته عنده . ويرى أن ينوع المربي العقوبة تنوعاً يتراوح بين العفو والعنف وما بينهما من التوبيخ والتهكم : « بالترهيب والترغيب ، والايئاس والايحاش ، وبالأعراض والاقبال . » بالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى - ما كان كافياً . »

(٣) إذا احتاج الأمر الى العقوبة البدنية يجب ألا يتردد المربي في الالتجاء إليها ، ويجب أن تكون تجربة الطفل الأولى في العقوبة البدنية مؤلمة حتى لا يسخر منها : « فإن احتاج الى

الاستعانة باليد لم يحجم عنه . وليكن أول الضرب موجعا ، كما أشار به الحكماء من قبل ، بعد الارهاب الشديد ، وبعد إعداد الشفعا . وان الضربة الأولى اذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها واشتد منها خوفه ، واذا كانت الاولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به .

(٤) ونحن نؤيد ابن سينا في أن العقوبة البدنية ضرورية في بعض الاحيان ، ولكنها أحوال نادرة جداً هي أحوال المضل المتمرد دين ، وينبغي أن لا يسرف فيها المربي وإلا قهرت غايتها وأنت بعكس المقصود منها .

وينبغي أن لا يوقعها المربي وهو في ثورة غضبه ، لأن ذلك قد يحمله على المبالغة فيها .<sup>(١)</sup> كذلك يجب أن يحسن اختيار موضع الضرب حيث أعصاب الحس أقل انتشارا . وبعض المدارس الانجليزية تجيزها بقيود حكيمة .

(٥) أما « إعداد الشفعا » فعمل مفيد كما يقول ابن سينا ، غير

(١) تدبر نصيحة ابن المقفع : « اعلم أن من الناس ناساً كثيراً يبلغ من أهدم الغضب ، اذا غضب ، أن يحمله ذلك على الكلوح في وجه غير من أغضبه ، وسوء اللفظ لمن لا ذنب له ، والعقوبة لمن لم يكن بهم بما قبله ، وشدة المعاقبة باللسان واليد لمن لم يكن يريد به الا دون ذلك . » الادب الكبير . وما أحكم الحديث الشريف : « أمرني ربي بقسم : الاخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضا . . . . »

أن الاسراف فيه يظهره أمام الطفل رواية هزلية مضحكة ،  
ويطعمه في تمثيلها كلما اقترب إنما . فليحذر الآباء والأمهات  
« مهزلة الشفاعة » التي عاد الأطفال على علم بها ؛ بل كثيراً  
ما يسمعون بأذانهم تجربتها قبل تمثيلها .

(٦) بقي أن تناقش ابن سينا في رأيه في الضربة الأولى الموجعة .  
إن الفكرة التي بنى عليها الشيخ الرئيس رأيه فكرة صحيحة يقرها  
علم النفس الحديث ، وهي أن الأثر الأول دائم البقاء .<sup>(١)</sup> ويظهر  
أننا إذا سلطنا بوجوب العقوبة البدنية ، في موضعها ، وجب أن  
نسلم بأن التجربة الأولى منها يجب أن تكون موجعة ، كما يقول  
الشيخ الرئيس . غير أنه يجب أن لانفسي الفرق بين الإيلام  
والتشويه وإحداث العاهات . ولكننا نعود فنحفر المربين مغبة  
العقوبة البدنية وتنصح بما نصحننا به سابقاً بأن يحكم المربي بقلبه  
لا بعصاه ، وبأنه إذا كان لابد من أن يكون له عصا ، فليعلقها  
حيث يراها الأطفال .<sup>(٢)</sup>

### العقوبة عند الغزالي :

( ١ ) للغزالي في العقوبة رأى يمكن اعتباره شبيهاً بمذهب  
العقوبة الطبيعية . فهو يعاقب الرذيلة بنقيضها : « وان رأى

(١) "First impression is ever-lasting"

(٢) راجع الارشاد السادس من الارشادات السلية لتوقيع العقوبة ص ٦٠

الرعونة والكبر وعزة النفس غالبية عليه فيأمره أن يخرج الى الأسواق للكدية والسؤال ، فان عزة النفس والرياسة لاتنكسر الا بالذل ، ولا ذل أعظم من ذل السؤال ، فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه . فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة . وان رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ، ورأى قلبه مائلا الى ذلك ، فرحابه ، ملتفتاً اليه ، استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه ، وكنس المواضع القفرة ، وملازمة المطبخ ومواقع الدخان ؛ حتى تقشوش عليه رعونته في النظافة . . . . . وكذلك اذا رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ، ثم يكلفه أن يهيء الأطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شره . . . . .

وان رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم وال سكوت ، وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء الخلق ، ويلزمه خدمة من ساء خلقه ، حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه . كما حكى عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم ، ويزيل عن نفسه شدة الغضب ، فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس ، ويكلف نفسه الصبر ، ويكظم غيظه ، حتى صار الحلم عادة له . (١)

(١) الاحياء ، الجزء الثالث ، « بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق »



(٢) ونحن نرى أن الأساس الذي بنى عليه الغزالي نظريته أساس صحيح ، وهو سلوك مسلك المضادة للذنوب ، <sup>(١)</sup> به يقول علماء النفس في استئصال العادات السيئة ببناء عادات مضادة لها ، ويؤكد يقول به سبنسر كما سنرى . ولكننا نرى أن الغزالي بالغ في تطبيق النظرية ، وعرض من يريد اصلاحه الى ذلة نفسية لا نرى موجباً لها . فدون ما يريد الغزالي وتصلح النفس . وليس طريق الغزالي في الاصلاح مأمون العثار ، لانه قد يثير في النفس ثورة العناد ، ونحن نرجو أن لا نستثنى من داء بداء .

(٣) ومن الانصاف أن نقرر أن للغزالي بعض العذر ، فانه نشأ فليسوفاً وانتهى صوفياً . وطريقه في العقوبة ألصق بالصوفي ومريديه منه بالبري وتلاميذه . فالطاعة التي قد نجدها في « المريد » اذا أمره شيخه بتعهد بيت الماء قد لا نجدها ، بل الارجح أننا لن نجدها ، في الطفل اذا أمره أستاذه أو أبوه بذلك .

(٤) ولقد افرد الغزالي لتأديب الصبيان فصلاً غير الفصل

(١) هذا هو مذهب أرسططاليس في العقوبة ، والبك ترجمة عبارته : « أما فاسدو الاخلاق من الناس فتجب معاقبتهم بالالم كما تضرب دواب الحبل . وهذا هو السبب فيما يوصون به من اختيار العقوبات الاكثر تضاذا للذائد التي يحبها أمثال هؤلاء الناس . » الاخلاق ، الكتاب العاشر ، فقرة ١١٨٠ - ١١٨٠ سطر ١٠ - ١٥ ترجمة Ross ، والكتاب العاشر الباب الثامن ترجمة Chase ص ٣٠٣ . والكتاب العاشر ، الباب العاشر ، الفقرة العاشرة ترجمة Saint Hilaire . وترجمتها العربية للطفي السيد بك . وليست هذه هي النظرية الوحيدة التي أخذها الغزالي عن فلاسفة اليونان : راجع تاريخ علم الاخلاق للمؤلف .

الذى اقتبسنا منه رأيه السابق <sup>(١)</sup> وكان هنا أكثر اعتدالا في رأيه . فهو يستخدم في العقوبة أسلحة مختلفة باختلاف طبائع الاطفال : « فالصبي المستحى لا ينبغي أن يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحبائه وتميزه . »

( هـ ) كذلك يرى الغزالي ألا يؤخذ الصبي بأول هفوة ، وأن تكون أول عقوبة له التوبيخ سرآ ، وألا يسرف المربي في التوبيخ فان ذلك مضيع لأثره : « فان خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ، ولا يهتك ستره ، ولا يكشفه ، ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ، ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة . فعند ذلك ان علا ثانياً فينبغي أن يعاتب سرآ ، ويعظم الأمر فيه ، ويقال له اياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا ، وأن يُطلع عليك في مثل هذا فتنتضح بين الناس . ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه مماع الملامة وركوب القباح . »

( و ) ويرى الغزالي الى اقناع الصبي بأن العقوبة جزاء له على

(١) « بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم » الكتاب الثالث من الاحياء .

ذنبه ولذلك يمنحه من شدة العويل والبكاء والاستشفاع : « وينبغي اذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ، ولا يستشفع بأحد بل يصبر . ويدكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال ، وأن كثرة الصراخ دأب الممالك والفسوان . » ومن ذلك نرى أن الغزالي ، كابن سينا ، يجهز العقوبة البدنية .

### العقوبة عند ابن خلدون :

عقد ابن خلدون في مقدمته المعروفة فصلاً « في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم . » وقد أخذ على رجال التربية وسائلهم في العقوبة ، كما أخذ عليهم كثيراً من طرق التعليم الشائعة بينهم . وهأنذا أخلص ذلك الفصل .

( ١ ) يرى ابن خلدون أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالتعلم ، سيما الصغار . بل هو يقول إن الشدة حتى مع الممالك والخدم مضرّة . ويدكر خمس مثالب للشدة في العقوبة :

( ١ ) أنها تسلط على المتعلم القهر ، وتضيّق على نفسه في انبساطها .

( ب ) أنها تنهب بفشاط النفس ، وتدعو إلى الكسل .

( ح ) أنها تحمل على الكذب والخبيث ، فيتظاهر للعلم بغير ما في ضميره خشية انبساط الأيدي عليه

بالقهر . فيتعلم بذلك المكر والخديعة ويصبح ذلك له خلقاً وعادة .

( د ) أنها تفسد معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن : وهي الحية ، والمدافعة عن نفسه ومقرله . وبذلك ينل ويصبح عبداً على غيره .

( هـ ) أنها تقعد بالنفس عن اكتساب الفضائل والأخلاق الجميلة ، فتنبض عن غايتها ومدى إنسانيتها ، فيرتكس الصبي ويعود في أسفل سافلين .

( ٢ ) ويستشهد ابن خلدون ، كهادته في تطبيق نظرياته على المجتمع ، بما وقع لكل أمة وقعت في قبضة القهر ونال منها العنف ، فأنها قتلت أشي شخصيتها وتمعجز عن الدفاع عن نفسها ، والاتفاع بالحياة : « نجد ذلك فيهم استقراء . وانظروا في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء ، حتى إنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد . وسببه ما قلناه . فينبغي للداعم في متعلمه ، وأوالده في ولده ، ألا يستبدوا عليهم في التأديب . »

( ٣ ) لا يرى ابن خلدون مانعاً من العقوبة البدنية ، على الرغم

من نفيه عن الشدة في المقوبة .. ولكنه يقيدها بالحاجة اليها ، و بعدم الافراط فيها : « وقد قال أبو محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المظنين والمتظنين : لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم - اذا احتاجوا اليه - على ثلاثة أسواط شيئاً . » ونحن ان حمدنا لابن خلدون جعله الحد الاقصى في المقوبة البدنية ثلاثة أسواط ، لانستطيع أن نكف عن التساؤل عن نوع السوط الذي يسمح باستخدامه . على أن نظرية ابن خلدون في النسي على شدة المقوبة عامة قد تبعث الى قلوبنا شيئاً من الطمانينة .

( ٤ ) وأخيراً يختم ابن خلدون فصله هذا بوصية الرشيد لمعلم ولده الأمين ، وفيها : « .... فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة . .... ولا تمرن بك ساعة الا أنت . فتمن فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه . ولا تمن في مساعدته ، فيستحلي الفراغ ويألفه . وقومه - ما استطعت - بالقرب والملاينة ، فن اباها فليك بالشدّة والغلظة . »

### العقوبة عند هيكل :

لقد كتب هيكل مؤلفه العظيم في فلسفة الحق<sup>(١)</sup>، وأشاد فيه بذكر العقوبة الانتقامية التي سبق أن شرحناها في مذاهب العقوبة . ويمكننا تلخيص مذهب هيكل فيما يلي :

(١) أن المجرم ، بإجرامه ، يطالب بالعقوبة ويبحث عنها ؛ بل قد تسمى « مكافأة » له . وبهذا يظهر أن مذهبه متفق مع روح المذهب الارسطاليسى الذي يسمى العقوبة « مكافأة سلبية . »

(٢) وتوضح وجهة المذهب الهيكلى من تفسير العبارة المشهورة : « ان جزاء الفضيلة هو الفضيلة . »<sup>(٢)</sup> فإذا كان فاعل الخير شاعراً شعوراً تاماً بكل ما يحيط بفعله ، كان على يقين من أنه يحقق فضيلة ما . ولقد يصيبه شيء من الألم في أثناء قيامه بهذا العمل ، ولقد يعرض عن ذلك الألم ، ولكن لذته وإبتهاجه هما في شعوره بأنه قد حقق غايته ، بنض النظر عن كل شيء آخر . وبمثل ذلك يستأهل

---

(١) Philosophie des Rechts. (٢) الفضائل السلبية . من كتاب الاخلاق للمؤلف

فاعل الشر « مكافأته السلبية » . أنها حق ، وجدير به أن يحصل عليها . فالجماعة التي تعاقبه لا تظلمه ، ولا تبغضه حقاً ، وإنما تمنحه ما يستحق ، وتعطيه ما عمل على اقتنائه .  
( ٣ ) هذا هو عمل العقوبة أولاً وبالذات ؛ ولكنها إلى جانب ذلك قد تساعد على إصلاح المجرم ، وعلى زجر غيره . كما أن « راحة الضمير » في عمل الخير ، إلى أنها تكافئ الفاعل ، قد تشجع الخير على عمل الخير .

( ٤ ) ويشترط هيكل في العقوبة العقل وال قصد . فإذا لم يصدر الشرع عن ارادة رشيدة لم يستأهل فاعله عقوبة ، أكثر مما يستأهل المثوبة رجل صدر عنه ، عفواً وعن غير ارادة ، عمل من أعمال الخير .

( ٥ ) ولعل هذا المذهب هو الذي يملل لنا كيف أن بعض من يقومون في الخطأ - من غير أن يكون لديهم العقاب الخارجى عليهم سلطان - يتلصسون لأنفسهم عقوبة نفسية . ذلك لأنهم يشعرون بأنهم لم يتقاضوا حقهم ومن ثم تنشأ التوبة .

## العقوبة الطبيعية

يرى أنصار هذا المذهب الطبيعي أن تكون العقوبة هي النتيجة المباشرة لعلل المذنب ، فليس من الصواب أن تفكر في عقوبة لا علاقة لها في ذاتها بالذنب الذي اقترفه ، وإنما هي من ابتكارنا ، ففرضها على الذنب ، كما لو كانت نتيجة طبيعية له . ولقد نشأ هذا المذهب في أحضان التربية الطبيعية التي أخذت الحياة تنب فيها في أوروبا في فجر القرن الثامن عشر الميلادي ، والتي يعتبر روسو المؤذن الأول بها .

### روسو والعقوبة الطبيعية :

يعتبر روسو بمجداة المؤسس الأول لمذهب العقوبة الطبيعية ، وقد تكلم فيها في كتابه عن التربية <sup>(١)</sup> الذي سماه « اميل » . وقد عالج هذا الموضوع ، كما عالج غيره من شئون التربية ، بطريقة التي اتبناها في ذلك الكتاب ، وهي تصويره اميل في موقف المذنب ، ثم قيام الاستاذ ( روسو نفسه ) بمهمة العقوبة . من أجل ذلك جاء كلام روسو في العقوبة في غير موضع



من الكتاب ، ولكن نظريته في العقوبة كما عبر عنها ، وكما طبقها قد جاءت في الكتاب الثاني من اميل . فلذا نحن استثنينا ما كتبه روسو في المواضع الاخرى من « اميل » من نفيه على المعلمين والاكباء شدتهم في تعنيف الاطفال وتقريرهم بمناسبة وغير مناسبة ( استغفر الله ، بل دائماً بغير مناسبة كما يقول هو ) اعتقاداً منهم بأن الطفل ليس الا رجلاً صغيراً يقلس بلقياس الأخلاق للرجل التام النمو — اذا نحن استثنينا ذلك أمكننا أن نحصر كل ما كتبه روسو عن العقوبة الطبيعية في الصفحات التي نترجمها فيما يلي .

يمجد روسو لكلامه في العقوبة بذنب يرتكبه اميل ، هو أخذه قطعة أرض من حديقة البستاني روبرت ليزرع فيها بمساعدة روسو قوله الذي أخذ يتعمده يوماً فيوماً . ويجب أن نعرف من الآن أن قطعة الارض التي فلحها اميل واستاذة لزراعة الفول كان فيها بذر بطيخ ما لعل زرع روبرت . ولكن اميل لم يكن يعلم ذلك طبعاً .

ثم جاء اميل ذات يوم قائلي الفول مقتلاً . فأخذه المعلم ، وصاح ، وبكى ، وحزن لحزنه روسو ، وأخذوا يبحثان عن مرتكب هذا الجرم . وبينما هما يرسلان صيحات التهرم ، اذ بصيحة تهرم أشد تطلق أصمعاها ، تلك هي صيحة البستاني روبرت :

روبير : ماذا فعلتما أيها السيدان ؟ أأنتما اللذان أفسدتما البطيخ  
 المالح الذي كنت قد زرعتة هنا ، يبذركم هذه  
 الفولات التمسمة مكانه ؟ لقد كنت بهذا البطيخ جد  
 فخور ، لأن بَنَره أهدى الى تحفة نادرة ، وكان في عزمي  
 أن أمنحكما بعضه بعد أن ينضج .<sup>(١)</sup> وما أنا بمستطيع  
 أن أحصل على بذر من هذا النوع مرة أخرى . لقد  
 أسأتما معاملتي ، وحرمتما نفسيكما لذّة التفكه ببطيخ  
 شهي .

جان جاك روسو : أي روبر المسكين ! انا لنسألك الصفح ،  
 فكم بذلت من جهد ، واحتملت من ألم ، في سبيل  
 ذلك الثمر الذي ألتفتناه ! لقد أدركتُ أننا كنا على  
 خطأ فيما ارتكبنا من اتلاف عملك . ولكننا سنرسل  
 الى ما لطة في طلب بعض البذر لك . ولن نسمح لأنفسنا  
 بعد ذلك بأن نفلح الأرض من غير أن يكون معنا  
 غيرنا .

روبير : لا تأسبا أيها السيدان ، فليس ثمة أرض خالية لكما

(١) يضم روسو هذه العبارة على لسان روبر لحكمة دقيقة تظهرها  
 الجملة التي تليها . وذلك ليكون حزن اميل أشد . وأسفه اعظم اذ يرى أن سوء  
 تصرفه أضرب كما أضرب غيره .

اننى أحرث ما فله أنى ، وهذا هو ما يعمل كل  
انسان . وكل ما هو أملككم من الارض قد استعمر منذ  
زمن لا تبعه الذاكرة .

اميل : يا مسيور روبير ، هل يبحث كثيرا أن يفقد الناس  
بذر البطيخ المألطى ؟

روبير : لا يا سيدى ، لا شك فى أن هذا لا يبحث كثيرا ،  
فاننا قلما صادفنا أحداً بلهاء من أمثالك ؛ ولا أحد فى  
الناس يعثو فى حدائق جيرانه فسادا . فالتاس جميعاً  
يحترمون أعمال غيرهم ، لكنى تسلم أعمالهم .  
اميل : ولكن أنا ليس لى حديقة .

روبير : هذا لا يعنينى ، واذا أنت أفستت حديقى حضرت  
عليك المسير فيها ، فاننى أريد ألا أضيع مجهوداتى .  
جان جاك : أفليس مستطاعاً أن نصل الى اتفاق مع روبير الطيب ؟  
ألا يسمح لى ولايملى الصغير ، برقة من حديقته  
تزرعها ، على أن يكون له نصف ثمرها ؟

روبير : لكما أن نحصل على ذلك من غير مقابل ؛ ولكن  
أذكر أننى سأحرث فولكما اذا أنما قربنا من بطيخى .  
ولتقف هنا وقفة قصيرة لنرى أثر تلك المقوبة فى نفس اميل .  
فنحن نرى أن روسو قد رتب الواقع بما جعل اقتلاع البستانى

القول لم يكن الابد اذ دهاره ، ليكون ذلك أبلغ في نفس اميل  
فيشعر اذ ذاك بما لدى البستاني من الألم على افساد بطيخه . ونحن  
نرى ، كما أشرنا في تعليقنا السابق ، أن روسو قد أطلق روبير  
بأنه كان عازما على منع اميل وشريكه بعض البطيخ بعد نضجه .  
وذلك أدعى لندم اميل ، لأنه قد أساء الى نفسه كما أساء الى  
روبير . ونحن نرى أن البذر كان مالمطياً ، وكان من المتعذر  
الحصول على غيره ، ليكون الندم أفضل في النفس . ونحن نرى أن  
روبير لم يتردد في الاعلان عن رأيه بصراحة لا تشوبها الجملة ،  
غير أنه لم يتردد كذلك في قبول التعهد من روسو واميل حينما  
آانس أنهما يقصدان الوفاء به . ونستطيع أن نلخص هذه الحادثة  
في عبارة واحدة هي : اتنا قد نجحنا في تغيير رأى المجرم في نفسه ،  
وتحويله من مدع الى مدعى عليه .

ثم يقدم روسو نصيحته قائلا : « أيها المملون ، ان الطفل  
الذي اخلق يحطم كل ما يمتد اليه يده ، فلا تحزنوا . بل أبعثوا  
عن متناول يده كل ما يمكن أن يفسده . انه يكسر الاشياء التي  
يستعملها ، فلا تسارع الى اعطائه غيرها ، بل دعه يشعر بحاجة  
اليها . انه يحطم زجاج حجرته ، فلتترك الريح تهب عليه ليلا  
ونهارا ، ولا تخش أن يصيبه من جراء ذلك برد . فلأن يصيب  
الطفل برد خفيف من أن يشأ مهلا مستهترا . ولا تبرم بما يسببه

لك من المضايقة ، ولكن دعه يشعر هو نفسه بها . ثم أصلح زجاج  
 النافذة آخر الامر من غير أن تقول في الموضوع كلمة واحدة . «  
 » وسوف يحطمها مرة أخرى . وهنا يجب أن تعدل  
 طريقتك : فلتخبره ، في جفوة لا يشوبها غضب ، بأن هذه النوافذ  
 ملك لك ، وأنت تحملت آلاما في سبيل تركيبها ، وأنتك تصر  
 على أن تبقى سليمة . ثم احبسه في مكان مظلم لا نافذة فيه . وعلى اثر  
 هذه المعاملة التي لم يكن يترقبها ، سيبيك ويسول ؛ فلا يحفظن به  
 أحد . وسوف يلحقه الاعياء سريعا ، فيغير من قمته ، ويأخذ  
 في التسم ، وتصعيد الزفير . فليظهر أمامه الآن أحدا خادما ، وهنا  
 يرجوه الطفل النائر أن يترك أساره . فليجبه الخادم ، من غير أن  
 يحاول الاعتذار عن الامتناع ، بأن له هو أيضاً نوافذ يجب عليه  
 أن يحافظ عليها . ثم يتركه وحده . وأخيرا ، بعد أن يكون الطفل  
 قد ظل في تلك الحجرة ساعلت عنه - زمناً كافياً لشعوره بالملل  
 والضجر منها ، وكافياً لترك أثر في ذاكرته - يقترح عليه شخص  
 أن يحاول الوصول ملك الى اتفاق من شأنه أن تعيد اليه حريته .  
 على ألا يعود الى تعظيم النوافذ . وهذا هو ما تصير اليه فيه الآن .  
 فيرسل اليك لتحضر اليه ، وسيعرض عليك المشروع ، فتوافق  
 عليه من غير تردد قائلاً : هذه فكرة حسنة ؛ فهي ترضينا كلينا .  
 ولماذا لم تفكر فيها قبل الآن ؟ ومن غير أن تتطلب منه تاكيدا

لميثاقه ، تعاقبه ييشر وابتهاج ، وتنقله حالا الى حجرته ، فاظراً الى ذلك الاتفاق كما لو كان ميثاقاً مقدساً قد وكبه لك يمين مخلطة . »

« ترى ، أى رأى سيكون لنفسه عن هذا الميثاق وعن الوفاء به ، ازاء هذه الاجراءات السابقة ؟ اذا لم أكن على خطأ تام ، طنى أعتقد أنه ليس على ظهر الأرض طفل - الا أن يكون قد فسدت أخلاقه فساداً - يمرض عن هذه المعاملة أو يتحدث نفسه بعد ذلك بتحطيم زجاج النوافذ عمداً . »

وأخيراً يرفع روسو الصوت عالياً : « طالما ناديت بأنه لا يجوز أن تنزل بالاطفال عقوبة على أنها عقوبة بل يجب أن تكون دائماً نتيجة طبيعية لخطئهم . فلا تثر في وجه أكاذيبهم ، لا تافى الحقيقة لانعاقبهم على كذبهم ، ولكتنا نرتب الأمور بحيث تقع العواقب السيئة للكذب على الاطفال الذين يكذبون ، كالأى يصدقوا وم يقولون الصلى ، أو يتهموا بما لم يقرؤوا رغم احتجاجهم . . . . . يجب أن يشر الطفل على إثر كذبه بأن ما يحل به هو من جراه كذبه لا من حب المعلم للانتقام منه . »

ذلك هو مذهب روسو فى العقوبة ، قد أحسن التعبير عنه

يعاين عن التعليق عليه . ولم يفضل في شرح هذا المذهب وتنظيمه الا خليفته عليه هربرت سبنسر .

### العقوبة الطبيعية عند سبنسر

تمهيد

تناول سبنسر رأى روسو في العقوبة الطبيعية ، فشرحه ووضع له أصولا علمية ، <sup>(١)</sup> مما قرن باسم سبنسر نظرية العقوبة الطبيعية . وسنلخص هنا هذا المذهب ، ثم نعرض له بكلمة نقد . من البديهي أنه ليس من المستطاع أن يكون الاطفال تحت رقابة دائمة تحول بينهم وبين الوقوع في المآزق الضارة بهم ، لأن ذلك يقتضى أن يكون نصف العالم أطفالا والنصف الآخر مربين . والواقع أن الاطفال ، وكذلك الكبار ، يخطئون في سبل الحياة خبط عشواء الليل . فنحن نخطو قبل أن نثق بأن الطريق غير شائك ، ولا بد لنا من مرشد يرشدنا . أما المربون فمن المستحيل أن يلازمونا في جميع خطواتنا ، فلم يبق لنا من مرشد إلا التجارب التي تلقننا دروسها .

وقية هذه التجارب ليست محصورة في تعلم الدروس الجزئية التي تلقاها الطفل ، بل هي في تربية عادة الحزم والتبصر

ليتعلم الطفل حسن القيادة لسفينة الحياة . يتعلم ذلك من الدروس الطبيعية الأولى : من الحروق ، والرضوض ، والكسور ، واللدغات ، والدموع ، والكدمات ، والسقطات .

تلك هي الصيغة التي أرسلها سبنسر ، احتجاجاً صارخاً على النظرية التحكّمية ، التي تُفرض فيها العقوبة دوغمية ؛ على التدخل الأخرق بين الطفل والطبيعة ؛ على الفكرة الخاطئة التي تقول ان النظرية لا تحتاج الى أكثر من كلمة أمرة

### تعريف العقوبة الطبيعية :

يقول سبنسر : إننا لا نسمي « رد الفعل » الطبيعي عقوبة إلا لأنه ليس لدينا كلمة أفضل منها لتؤدي هذا المعنى (١) فإنها ليست في الواقع عقوبة بالمعنى المصطلح عليه . فهي ليست إلا ما ابتكرناها ابتكاراً ، من غير ضرورة ملجئة ، لننزلهما بالطفل ؛ ولكنها شكيمة نافعة للأهمل التي لا تتفق طبيعتها وسعادة الجسم - شكيمة لولاها لفنى الجسم سريعاً ، من الأضرار التي تلحقه . تخصيصة هذه العقوبة - إذا لم يكن لنا بد من تسميتها عقوبة - أنها العقوبة المحتومة للأفعال التي تسبقها .

(١) لدينا في العربية كلمة « الباقية » وهي تؤدي هذا المعنى ، ونستعملها في هذا الفصل راجع ص ٣٢



فإذا سقط الطفل ، أو اصطدم رأسه بمنضدة . أو قبض على قضبان الموقد ، أو وضع أصابعه على لهيب الشمعة ، فإن الآلام التي تلحقه من هذه الأعمال تلقته درساً لا تقوى على محوه يد الإغراء والتحريض .

وكذلك الشأن في حياة الكبار : فالشاب الذي يبدأ حياته العملية متوانياً ، كسلاً ، مضيقاً لزمته ، متباطئاً في أداء واجباته ، أو متهاوناً فيها ، لا بد أن توافيه في يوم ما عقوبته الطبيعية . فانه سيفصل عن عمله ، ويترك في فتر يعضه فترة من الزمن على الأقل . والتاجر الشره الذي لا يقنع الا بربح عال في أنمائه ، يفقد حرقاءه ، وبذلك يتل من شرهه . وكساد العمل في عيادة الطبيب المهمل يفهمه إلى زيادة العناية بمرضاه .

ونحن اذا رجعنا إلى أمثال الناس وحكمها ألفيناها متفقة في التعبير عن حكمة العقوبة الطبيعية :

وإذا اسرؤ لسمته أفى مرة

تركته حين يُجِرُّ حبل يفرق (١)

(١) أصل المثل الذي استشهد به سينسر : « الطفل المحترق يخشى النار . »

"The burnt child dreads the fire."

ومن أمثالهم : "Once bitten, twice Shy" . ومن أمثال الألمان :

"Gebanntes Kind fruchtet das Feuer." وهذا المعنى على .

وطالما سمعنا بعض الناس يعترفون بأنهم لم يقلعوا عن عاداتهم  
للردولة ، أو علمهم الأخرق ، إلا بالتجارب الغالية الثمن . وليس  
فيها من لم يسمع لدى تقديم هذا الميذر أو ذاك الأساس ، أن النصيحة  
كانت عبثاً ، وأنه لن يؤثر فيه إلا التجارب القاسية . أى أنه  
لن يصلحها إلا ما يحتملان من آلام المواقب المحتومة .

إن عمل الآباء والأمهات - وهم تراجمة الفطرة وسدنها - هو  
أن يعملوا على أن يلقى أطفالهم المواقب الطبيعية لحوكمهم ، من غير  
حمايتهم منها ، ومن غير العمل على زيادتها ، ولا إحلال عواقب  
أجنبية محلها . فالولد الذى يتلصكاً فى هيئة نفسه للخروج للترهة ،  
يجب ألا يضرب ، وألا يُقهر ، ( مع انتظاره للخروج للترهة  
على الرغم من هذا . ) بل يجب أن يُترك وينهب المتزهون من  
غيره . والبنت التى لعبت بسلاواتها ثم تركتها فى الحجرة أو  
تبعتها فى غير مواضعها ، يجب أن تعيد كل شيء إلى مكانه ،  
من غير أن تُضرب أو تُشتم . فإذا هى امتنعت عن الطاعة ، كان  
جزاؤها أن تحرم اللعب بهذه السلاوات حينما تعالها مرة أخرى .  
ويدافع سفسر عن العقوبة الطبيعية بما يأتى :

(١) أنها نتيجة طبيعية لسلوك الطفل ، فى ذلك تربط

الاسباب بالمسيبات .

(٢) أنها شكيمة طبيعية زودتنا بها القسوة المالية للمحافظة على حياتنا .

(٣) ان هذه العواقب الاليمة متناسبة مع المخالفات : فالحادثة الطفيفة تسبب ألماً طفيفاً ، والحادثة العنيفة تحدث ألماً عنيفاً . فيتعلم الحدث من تجاربه في الحياة الأخطاء الصغيرة والأخطاء الجسيمة ، ثم يعدل سلوكه تبعاً لذلك .

(٤) أن هذه العواقب الطبيعية دائمة ، مباشرة ، غير مترددة ، ولا يحصى عنها . فلا يصحبها تهديد ولا وعيد ، ولكنه تنفيذ صامت قوى . فإذا وخر الصبي أصبعه بإبرة ، أعقب الوخر ألماً ، فإذا عاد الصبي الى ذلك عاد الألم اليه ، من غير تخلف . فهي عقوبة ثابتة ، مصرة ، لا تقبل شفاعاة ، ولا تسمح بنقض ولا استئناف للحكم .

(٥) أنها تكسب الطفل ، كما قلنا ، حنكة ودرية .

(٦) أنها لا تفسد العلاقة الطيبة بين الطفل والربي . فالطفل كثيراً ما ينظر إلى صريه - أيه أو أمه أو معلمه - نظره الى جلال منتقم . لأن العقوبات الاجنبية التي يفرضها الربي عليه ، كثيراً ما توغر صدر الغلام وتشمره بأن

المرئي يعاقبه لأنه ساخط عليه لا لأن الطفل قد ارتكب جرماً . وكثيراً ما يبدي الطفل مقاومة للعقوبة الأجنبية ، وهنا قد يتحرك سخط المرئي ، ويدخل نفسه في الخصومة . وبذلك تسوء العلاقة بين الطفل ومرضيه . فالعقوبة الطبيعية تبعاً لدافع الغضب والحق .  
(٧) العقوبة الطبيعية عادلة وذلك يتقبلها الطفل صاغراً راضياً . ومن ثم كانت أفضل في النفس .

لقد تحولت العقوبة الأجنبية في الطفل متعمداً شكياً ، أما العقوبة الطبيعية فتحوله شخصاً لا ريناً مطيعاً . ونجمه يتحاشى الوقوع في الذنوب جهد استطاعته ويحرص على رضا مريضه ، ويتزعج أشد الانزعاج لغضبه منه أو انصرافه عنه . يقول سبيلر ان طفلاً في الخامسة من عمره عمده في غيبة أمه الى قص خصلة من شعر أخيه ، وإلى جرح إصبعه هو بموسى أبيه . فلما علم بذلك والده قاطعه بقية اليوم ، واليوم التالي . ولقد بلغ من ندم هذا الصبي وتوبته أن أمه كانت على وشك مغادرة المنزل بعد تلك الحادثة ببضعة أيام ، فتوصل إليها ذلك الطفل ألا تخرج وتتركه في المنزل منفرداً ، خشية أن يغريه انفراده في المنزل بالعبث مرة أخرى ، فيغضب أباه .

### العقوبة الطبيعية والذنوب الكبيرة

هذا هو رأى سبنسر فى العقوبة الطبيعية للذنوب الصغيرة .  
يحذر المربي الطفل قبل ارتكاب الذنب ، فان لم يفته تركه يلقى  
جزاءه الطبيعى . أما فى الذنوب الكبيرة التى عواقبها الطبيعية  
ذات أثر سىء فى حياة الطفل أو صحته ، فان سبنسر ينصح فيها  
بالتحذير أولاً ؛ فان لم يرعو الطفل منع قهراً : « فى الحالات التى  
تتدر بكمس ضو أو أذى بليغ يجب المنع بالقوة . » ولكنه يقول  
إن هذه الحالات نادرة ، وفيما عداها يجب أن يترك الطفل لجزائه  
الطبيعى ؛ فان معظم الذنوب راجع الى سوء ادارة الطفل ، وإلى  
عقوبته الأجنبية عن الذنب . فعنف الاطفال بعضهم مع بعض  
يرجع ، فى معظم الأحوال ، الى عنف المربين معهم . ينقلون ذلك  
العنف عنهم بالقوة أولاً . وبما يجلبه العنف فى نفوسهم من الحفيظة  
وفساد الطوية ثانياً . فهم يثأرون لأنفسهم بطرق شتى ، بالانلاف  
وإيذاء الرقاء ، لأن أيديهم لا يمكن أن تمتد الى المربي نفسه .  
ويرى سبنسر أن الكذب والسرقات الصغرى <sup>(١)</sup> تستأصل  
أو تقل بلمقاطعة والجفوة لا بالضرب والشتائم . ويستدل على ذلك

“Petty thefts” (١).

بأن قانون الفطرة الطبيعية يقضى بأن من يُحرم التمتع بالذات الراقية ، يهوى الى الذات المنحلة . فمن لم يلق عطفاً على ملذاته المشروعة ، يبحث عن لذات أفانية يستأثر بها . وعكس هذا القضاةون صحيح كذلك ، فدوام العلاقة الطيبة بين الوالدين والابناء يساعد على استئصال عدد من تلك الآثام التي تنمو في أحضان الآثورة

ويختتم سبفسر كلامه في العقوبة بهذه النصائح :

(١) لا تمكن شديد الطموح في تربية أخلاق الطفل ، بل اقم

بالدرجة الوسطى . ولا تتطلب دائماً تحقيق المثل الأعلى<sup>(١)</sup>

عندئذ لا يخرج صدرك . ولا يكثر وعيدك وتهديتك .

(٢) اياك والغضب فانه يبعد بينك وبين العتوبة الطبيعية ،

ويحول الامر الى خصومة بينك وبين الطفل .

(٣) اياك والتهلون كنك ، فلا يملكك عدم الغضب .

على دوام الرضا ؛ فكلما طر في كل الامور فمير<sup>(٢)</sup>

(١) هذه هي الروح التي أخذ بها الاسلام المسلمين من مقارنة المثل الاعلى

من غير تكليف بتحقيقه : « ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الاغلبه . فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة ، والروحة ، وشيء من الدلجة . » وطالما نادى روسو بأن الطفل ليس رجلاً صغيراً ، فلا يجوز مؤاخذته بحقياس دقيق كما لو كان رجلاً .

(٢) تذكر قول الشاعر :

ولعلم ساعات ولعجل مثلاً ولكن ساعتي الى انظر اقرب .

(٤) لا تسارع الى التعليم الاخلاقى فان له مرحلة ان أنت حاولت قطعها قبل أوانها كان الاخلاق حليفك ؛ بل انك بذلك لتعوق أخلاقية الطفل فى نموها . (١)

(٥) أقل من أوامرك للطفل ، خشية أن يعصيك ، فتعاقبه ؛ فتبدو كما لو كنت تتأثر لنفسك واجتهد فى أن تكون الظروف والملايسات هى التى تتولى الأمر نيابة عنك . فاذا أُلجئت الى الأمر فتعده بالفاذ ، والا عرضت نفسك وأوامرك الى السخرية .

(٦) اجتهد فى أن تتخذ من طفلك - بقدر ما تسمح به فطرته - شخصاً يسيطر على نفسه ويحسن قيادتها ؛ لا آلة صماء يتحكم فيها غيرها . فليستغن عنك بالتدريج ، مستعيناً عن سلطتك رأياً ، وحكمة ، ونجربة .

(٧) افرق بين الذنوب التى يوحىها الخليل ، والذنوب التى يدفع الطفل اليها فطرته وغرائزه . (٢)

(٨) عامل كل طفل وفقاً لطبيعته ؛ بل عامل الطفل الواحد وفقاً للحالة الخاصة التى يكون عليها وقت اقتراف الذنب .

(٩) وأخيراً أدب نفسك قبل أن تؤدب طفلك .

(١) ليس هذا الاصدى لا رده روسو فى غير موضع من «اميل» .  
(٢) النظر من ٥٧

### نقد العقوبة الطبيعية :

لنناقض أدركنا الآن معنى العقوبة الطبيعية ؛ ولعلنا قد وقفنا على مزاياها . غير أن الناقد النزيه لا يسهل - رغم هذه المحاسن - إلا أن يعترف بأن لهذه العقوبة مثالب كثيرة . واليك أهم هذه المثالب :

(١) ليس العقاب الطبيعي عادلا ، كما يحاول سفسر أن يلتقي في روعنا . فهو في كثير من الأحيان قاس قسوة لا تناسب الذنوب . فأى عدل في العقوبة الطبيعية التي تلحق طفلا يحاول أن يصطاد سمكة قتل قدمه فيغرق ؟ وأين الحزم في احتراق بنت أرادت أن تعيث بمود ثياب فاندلع اللهب في جسمها فشواها ؟ اتنا لانستطيع أن نسلم لسفسر بأننا إذ نرى قلبات أ كبادنا يقدمون على مثل هذه المخاطر ، لا نزيد على أن نمنعهم ثم نتركهم وشأنهم . ويظهر أن سفسر قد قلبه إلى غلوة مذهبه . قال إن الذى دعه اليه هو أن حذر الآباء من وقوع الأبناء في المخاطرة ، مسرف كل الاسراف ؛ ولذلك اضطر إلى دعوته هذه . غير أنه لم يقته أن يقول :

« فالطفل الذى عمره ثلاثة أعوام لا يسمح له أن يلعب



بالوصى ليتلقى عقاب الطبيعة ، لأن عقاب الطبيعة هنا قد يكون أقسى كثيراً مما تقدر . « ونحن نقول : ولا ابن الثلاثة عشر .

(٢) مما يعاب على العقوبة الطبيعية كذلك أنها قد تأتي متأخرة عن الذنب تأخراً يجعل أثرها غير محسوس . فإذا دأب الطفل على تعريض نفسه للبرد ، أو للغبار ، أو أصر على إجهاد نفسه فوق الطاقة ، أو حمل أثقال لا قبل لجسمه بحملها ، فأصابه من جراء ذلك ، بعد مدة طويلة قد تكون عدة سنين ، مرض صدرى ، أو ضعف في القلب ، أو تشوه في العمود القعري والاضلاع — لم يكن ميسوراً له أن يربط بين هذه العقوبات والذنوب التي سببتها لطول الزمن بينهما .

(٣) وإتنا لتشكك كثيراً في دعوى سبنسر أن العقوبة الطبيعية خير وسيلة لايجاد الثقة بين المربي والطفل . إن هذه الثقة لاكتسب إلا بأمور كثيرة : بلطف غير المتبرم ، بالشقة الدائمة فيما عز وهان ، بالمطف الصادق على مشروعات الطفل وخطئه ، بالقيادة الحازمة في الشئون الخطيرة ، بالرعاية التي تحول بين

الطفل وما قد يتردى فيه من نتائج خرقه ، أو تخفف من حدة الآلام التي يستدعيها طيشه وهوجه . أما العقوبة الطبيعية فليست ، في أحسن صورها ، إلا علماً واحداً من عوامل تلك الثقة .

(٤) إن نظرية سبنسر تقضى من شأن « فن العقوبة » الذي شغل رموس الفلاسفة والمفكرين قروناً من الزمان . فبدلاً من أن نبحث في العقوبة ومبرماتها من انتقام أو اصلاح أو زجر أو وعظ ، وبدلاً من أن نبحث في مسؤولية المذنب ونقته ، لتكافأ عقوبته وجريمته ، نطرح بكل ذلك اكتفاءً بما تنزله الطبيعة به . ألا إن هذه الثقة بأساليب الطبيعة لا أكثر مما يلزمنا أن نمنحها . إتقنا لا تلقى عقولنا في سبيل إرضائها . إتقنا كثيراً ما نستوحىها الحلول لمشاكلنا الأخلاقية والاجتماعية ، ولكننا لا نفسى مطلقاً أننا كما نعتبرها أستاذاً قديراً ، كذلك قد نسخرها لصالحنا تسخييراً .

## خاتمة : عقوبة الجماعات

إلى هنا كنا نبحث في الشرور الأخلاقية وعلاجها ، فيما يتعلق بحياة الفرد . ولكن للجماعات كالأفراد ، فضائل ووراثات . وقد تكون نظم الجماعة ، أو عالمها النفسى ، بحيث يشجع أفرادها على الحياة الفاضلة . وقد تكون بحيث تعوق الحياة الأخلاقية الكاملة ، كما لو راجت فى الجماعة بضاعة الشر ، من انتشار المواخير ، وبيوت الميسر ، وعصابات اللصوص والسفاحين . وإن واجب الحضارة هو أن تهتم للفضيلة وتوطئ لها ، على حين تأخذ على الرذيلة سبلها . غير أن الواقع أن مدينة العصر الحاضر تهتم لكل من الفضيلة والرذيلة ، فهي مزيج من خير البشرية وشرها : فكما تدعو إلى الاحسان ، تبعث على الحرص ؛ وكما تنادى بالزهد ، تشجع على الترف ؛ وكما تهتقر الكذب والخداع ، تورط فى الوقوع فيهما بأسماء أخرى خلاصة كالحماقة وحسن الحيلة ؛ وكما تنادى بالعدل والسفوة ، تحرم الفقير كثيرا من حقوقه الطبيعية .

وإذا غلب جانب الشر جانب الخير فى أمة من الأمم أدنت فحسبها بالنزوب ، ما لم يرسل لانتشالها رسول كريم ، أو يقبض لها مصلح عظيم . ولقد نعم الفوضى ، فيئس للإصلاح سبيل

الثورة ، ولكن في ذلك استشفاء من داء قد يرجى منه البرء .  
 بداء قد يكون عضالاً . ولقد يحيد شعب من الشعوب عن الطريق  
 السوى بما يحمل شعباً آخر ، أو مجموعة من الشعوب ، على التقدم  
 لمعاقبته ، كما يعاقب الفرد . فكثير من دول الحلفاء لم تخض غمار  
 الحرب الاوربية العظمى إلا بفكرة إزال العقوبة بألمانيا لاعتملائها  
 على حياض البلجيك .

ويجب ألا يمزب عن أذهاننا أنه لا يصح لشعب واحد أن  
 يتخذ من نفسه قاضياً على شعب آخر . من أجل ذلك كانت الفكرة  
 الأولى في تأليف عصبة الأمم حتى لا يتحكم شعب في شعب فحكم  
 فرد في فرد . ولقد ظل اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار .  
 ولقد كادت ألمانيا قبل الحرب تدعى لنفسها تلك السيادة ؛ ولعل  
 غيرها من الأمم تزعم لنفسها تلك الميزة .

وكل يدعى وصلاً لليلي وليلى لا تفر لهم بذلك .  
 ومهما يكن الأمر فلا بد للأمة التي تحيد عن الطريق السوى  
 في حياتها الأخلاقية أن تلقى عقابها في صورة ما : « إِنَّ اللَّهَ لَا  
 يَنْفِرُ مَا يَقْرَأُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . »  
 ولعلنا كدنا نخرج من بحثنا في الأخلاق إلى بحث في الاجتماع .  
 فلنرجى ذلك الآن .

والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ..

# أهم مراجع هذا الكتاب

- (١) القرآن الكريم وتفسيره .
  - (٢) شرح القسطلاني على البخاري ، وبهاشمه النووي على مسلم ..
  - (٣) أصول القوانين لمحمد كامل مرسي بك ، وسيد مصطفى بك .
  - (٤) حجة الله البالغة في حكمة التشريع تأليف شاه ولي الله الدهلوي .
  - (٥) شرح قانون العقوبات لملي زكي العراقي بك .
  - (٦) علم النفس الشرعي بقلم محمد فتحي القاضي بمحكمة مصر الاحلية .
- ( مجلة المحاماة ، نوفمبر سنة ١٩٢٥ )

- 7 ) Dumville, Fundamentals of Psychology.
- 8 ) Moore, Ethics & Education.
- 9 ) Mumford, Dawn of Character.
- 10 ) Bentham, Theory of Legislation.
- ( له ترجمة بالريية بقلم المرحوم فتحي زغلول باننا )
- 11 ) Bentham, Principles of Morals & Legislation.
- 12 ) Wines, Punishment & Reformation.
- 13 ) Mackenzie, Manual of Ethics.
- 14 ) MacCunn, Making of Character.
- 15 ) Sidgwick, Methods of Ethics.
- 16 ) Rousseau, Emile ou De L'Education.

- 17 ) Spencer, Education.
- 18 ) Bradley, Ethical Studies.
- 19 ) Morrison, Juvenile Offenders.
- 20 ) Muirhead, Elements of Ethics.
- 21 ) Dow, Society & Its Problems.
- 22 ) E. Ferri, Criminal Sociology.
- 23 ) H. Gross, Criminal Psychology.
- 24 ) Welton & Blandford, Moral Training.
- 25 ) Stanley Hall, Adolescence.
- 26 ) J. S. Mill, On Liberty.
- 27 ) Holmes, What is & What Might Be.
- 28 ) Plato, The Republic.
- 29 ) Aristotles, Ethica Nicomachea.

﴿ له ترجمة عربية بقلم لطفي السيد بك . ﴾

- 30 ) Lodge, Plato's Theory of Ethics.
- 31 ) Pym, Psychology & Christian Life .

# فهرس الكتاب

صفحة	
٣	إهداء الكتاب
٥ - ٤	المقدمة
٦ - ٢٧	الفصل الأول - الشرور الأخلاقية .
	تمهيد - أنواع الشرور الأخلاقية - الرذيلة -
	الرذائل في العصور المختلفة - تقسيم الرذائل -
	الخطيئة - الجريمة .
٢٨ - ٤٨	الفصل الثاني - العقوبة .
	نشأة العقوبة - معنى العقوبة - الغرض من العقوبة -
	العقوبة المصلحة - يجب أن تخلف العقوبة أثرآ في
	إرادة المذنب - يجب أن تكون السلطة المعاقبة
	أخلاقية - الخوف - الفضيحة - العقوبة الرادعة -
	العقوبة الواعظة - العقوبة المتتمة .
٤٩ - ٥٤	الفصل الثالث - عقوبة الأعدام .
	آراء المشرعين فيها - قوانين الأمم المختلفة فيها .
٥٥ - ٦٣	الفصل الرابع - نصائح عامة في العقوبة .
	الوثوق من إجرام الماقيب - التفرقة بين الذنوب -
	مناسبة العقوبات للأثام - مشاكل العقوبة للأزمناء -

- العقوبة مثل للغير - لا يجوز التمثيل بالمعاقب -  
 تعويض المجنى عليه - التهمك .  
 ٧٣ - ٦٤ الفصل الخامس - النتيجة أو المسؤولية .  
 المسؤولية بين الجبر والاختيار - المسؤولية في الاسلام -  
 المسؤولية والبحوث الحديثة في علم النفس التحليلي -  
 نظام السجون في الولايات المتحدة - النعم .  
 ٨٧ - ٧٤ الفصل السادس - العفو .  
 الغرض من العفو - العفو في الاسلام : نظرية المؤلف  
 فيه - العفو عند الجلاظ .  
 ١١٨ - ٨٨ الفصل السابع - فلاسفة العقوبة .  
 العقوبة عند ابن مينا - العقوبة عند الفزالي -  
 العقوبة عند ابن خلدون - العقوبة عند هيكل -  
 العقوبة الطبيعية - روسو والعقوبة الطبيعية - العقوبة  
 الطبيعية عند سبنسر - تمهيد - تعريف العقوبة  
 الطبيعية - العقوبة الطبيعية والذنوب الكبيرة -  
 نصائح سبنسر - قد العقوبة الطبيعية .  
 ١١٩ - ١٢٠ خاتمة - عقوبة الجماعات .  
 ١٢١ - ١٢٢ المراجع  
 ١٢٥ - ١٣٧ الفهرس المحتجى  
 ١٣٨ من المؤلف الى الناشر



# الفهرس المحتجئ

١

- ابن السكيت ، في تعريف العقوبة ٣١  
 ابن المقفع ، في الاعتراف والتوبة ٣٤ ، ٣٥ في العزيمة والعمل  
 ٢٢ في الغضب ٩٠  
 ابن خلدون ٨٨ في العقوبة ٩٥ - ٩٧  
 ابن زيدون والتهكم ٦٣  
 ابن سينا ٨٨ في العقوبة ٨٩ - ٩١  
 ابن مسكويه في تقسيم الفضائل والذائل ١٨  
 أبو بكر القاضي في العزيمة والعمل ٢٤  
 أبو محمد بن أبي زيد في العقوبة البدنية ٩٧  
 الأديس ، في القرصنة ١٥  
 أرستطليس في تقسيم الفضائل والذائل ١٨ ، ١٩ في خوف  
 القوانين ( الشجاعة المدنية ) ٣٩ في العقوبة ( منهب  
 الغزالي ) ٩٣ في العقوبة الانتقامية ( منهب هيكل )  
 ٩٨ في القرصنة ١٥ في المسئولية في الأعمال الارادية  
 والمختلطة ٦٥ ، ٦٦

- اسبانيا وعقوبة الاعدام ٥١  
الاسبرطيون ورأيهم في السرقة ١٥  
الاسراع في الترية الأخلاقية ١١٥  
الاسلام في منفذ العقوبة ٤٣ ، ٤٤ في نية الخير والشر ١٣ ، ٢٢ الخ  
الاعتراف ٣٤ ، ٣٥  
الاعدام ، آراء المشرعين فيه ٤٩ البول التي قرءه والتي ألغته ١٠٠ الخ  
الاعمال المختلطة والمسئولية ٦٦  
أفلاطون والتهكم ٦٣ في حكومة الفلاسفة ٣٦ في العدل والظلم  
والانفلام ١٩  
أكنم بن صفي في الحكم الاخلاقي ١١  
الاكراه والمسئولية ٦٥  
الكذانداني رذائل العصور المختلفة ١٤  
ألمانيا ١٢٠ ، وعقوبة الاعدام ٥٠  
إميل ( انظر روسو )  
انكلترة وعقوبة الاعدام ٥٢ ، ٥٨  
الأوامر وضررها ١١٥  
إيطاليا وعقوبة الاعدام ٥٠

## ب

- البرقال وعقوبة الاعدام ٥١  
 بطلى ونظام السجون فى انكثرة ٣٦  
 البغاه فى مصر للاناث والذكور ١٦  
 بلجيكا ١٢٠، وعقوبة الاعدام ٥١  
 بنجامين فرنكلين فى تقسيم الفضائل والذائل ١٨

## ث

- التبعة ( انظر المسئولية )  
 التبليغ عن الجناية ٤٦  
 « تسوخ » ، بها أخف عقوبة لقتل الممد ٥٢  
 تعويض المجنى عليه ٦٠ ، ٦١  
 تليا خس ١٥  
 التمثيل بالمعاقب ٥٩  
 تشكيل الامريكيين بالزنوج "Lynching" ١٥ ، ١٦  
 التهم سلاح من أسلحة العقوبة ٦١ - ٦٣  
 التوبة ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٩ ، ٧١ - ٧٣ ، ٩٩  
 التوراة فى العقوبة الانتقامية ٤٤

### ث

حققة الطفل بمريه ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨  
الثورات والقتل والاخذ بالفتنة فيها ٥٦  
الثورة عقوبة للشعوب ١١٩ ، ١٢٠

### ج

الجاحظ ، والتهكم ٦٣ في العفو ٧٤ ، ٨٦ - ٨٧  
الجريمة ٢ ، ٢٦ ، ٢٧  
جرين في النية ١٤  
الجهل والمسئولية ٦٥  
جورج الثالث ، قانون العقوبات في عهده ٥٨

### ح

الحديث الشريف : في عدم العفو ١١٤ في العزيمة والعمل ١٣ ،  
٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٠ في العفو ٨٧ في العقوبة  
٣٠ ، ٣٢ في الغضب ٦٥ ، ٩٠ في المسئولية : في الخطأ ،  
والانسيان ، والاكرام ٦٦ ، ٦٧  
الحسبة ٤٦  
حقن ناصف بك والتهكم ٦٣

الحكم الاخلاقي ١١  
الحياة الأخلاقية ٦ - ٨

## خ

خطايا المرء ظل فضائله ١١ - ١٢  
الخطيئة ، تعريفها ١٢ موازنة بينها وبين الرذيلة ٢٠ الخطيئة  
والجرمة ٢٦ ، ٢٧  
الخلق الضعيف ١٠  
الخلق القوى ١٠ - ١١  
الخوف ٣٨  
الخير الشخصى والخير العام ٧ - ١٠

## د

درء الحدود بالشبهات ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦  
الدفاع عن العرض والمسئولية ٦٥  
الدفاع عن النفس والمسئولية ٦٥  
دنى ( فى الأصل مميلز خطأ ) فى تعريف الخلق ٢٥

## ذ

الذنوب وأقسامها شرعاً وقانوناً ٥٧  
التفرقة بين الذنوب عند مفسر ١١٥

الذيلة : تعريفها ١٢ الرذائل الفاضلة ١٤ الرذائل في المصور

المختلفة ١٤ تقسيم الرذائل ١٦ - ١٩

الرشد ، وصيته في الغفوة والعقوبة ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦

روسو ٥٨ ، ٨٨ ، ١٠٠ - ١٠٧ ، ١١٥

روسيا وعقوبة الاعدام ٥١

رومانيا وعقوبة الاعدام ٥١

ز

زهاد بن أبيه والأخذ بالنظنة ٥٦

س

سبب ٣٢ ، ٥٨ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٧ - ١١٨

السجون ٣٦ ، ٦٩ - ٧٠

السرق ، رأى المصور المختلفة فيها ١٤ ، ١٥

السرقات الصغرى ١١٣

سقراط ، وزوجته ١١ والعقوبة ٢٨

ملت هيلير والمسئولية ٦٤

السويد وعقوبة الاعدام ٥١

سويسرة وعقوبة الاعدام ٥١

« الحياة » لارسطاليس ١٥

## ش

الشر خير تحت ظرف خاص ٧ - ٨  
 الشرور الاخلاقية ، نشأتها ٦ أنواعها ١٢  
 الشريد والمجتمع ٩  
 شكبير في أن العقوبة تلازم الجريمة ٧٨ في النعم ٧٢

## ض

الضير ٧٢، ٥٩، ٣٦

## ط

للطفل ، نظرتة الى خير و خير غيره ٩ نظرتة الى العقوبة ٤٤ ،  
 ١١١ - ١١٢

## ع

العادى والمجتمع ٩  
 عبد الله نديم والتمك ٦٣  
 المبقرى والمجتمع ٩  
 العزيمية الآتمة التى يدل عنها ، والعزيمية الصالحة التى يدل عنها  
 ٢٠ الخ  
 عصبة الامم ١٢٠

العضل ٤٦، ٤٧، ٩٠

العفو ٤٤، ٧٤ الخ العفو الاسلامي : نظرية المؤلف فيه ٧٥ - ١٠٦

العقوبة : نشأتها ٢٨ ، مناهيها ٣١ ، الغرض منها ٣٢ الخ مناسبتها

للذنوب ٥٧، ٥٨

العقوبة الانتقامية ٣٣، ٤٣، ٩٨ - ٩٩

عقوبة الجماعات ١١٩ - ١٢٠

العقوبة الرادعة ٤١، ٤٢

العقوبة المصلحة ٣٣، ٤١، ٤٢

العقوبة الطبيعية ١٠٠ - ١١٨

العقوبة الواعظة ٤٢

علم النفس التحليلي والمسئولية ٦٧ الخ

غ

الغزالي ، في تقسيم الفضائل والردائل ١٨ في العقوبة ٥٩، ٨٨،

٩١ - ٩٥

الغضب ٩٠، ١١١ - ١١٢، ١١٤، الغضب والمسئولية ٦٥

ف

الفنن (انظر ثورات) .

الفخر الرازي في القصاص ٤٤

فرنسا وعقوبة الاعدام ٥٠



فرويد و الاحلام ٦٨ ، والمسئولية ٦٨  
الفضيحة عامل من عوامل العقوبة ٤٠  
فنلاند وعقوبة الاعدام ٥٠

## ق

القاضى عياض فى العزيمة والعمل ٢٤  
القاموس فى تعريف الرذيلة والخطيئة والجريمة ١٢  
القتل ، رأى المصور المختلفة فيه ١٤ ، ١٥  
القرآن الكريم : فى الأعمال الاضطرارية والمسئولية ٦٦ فى التهم  
٦٣ فى الحساب على النية ١٣ ، ٢٥ فى العفو ٤٤ ، ٧٥ ،  
٧٦ - ٨٧ فى العقوبة ٣٠ فى عقوبة الجماعات ١٢٠ فى عقوبة  
الزنى ٤٢ فى القصص ٣٢ ، ٤٤ فى الوثوق من الاجرام  
قبل العقوبة ٥٥

القرصنة ١٥ ، ٥٢ ، ٥٨

القسطلاقى فى المؤاخنة بالنية ٢٥

## ك

الكذب ، رأى المصور المختلفة فيه ١٤ ، ١٥ عقوبته ١٠٦ ، ١١٣  
كرليل ، فى الحكم الاخلاقى ١١ فى الفرق بين العزيمة والعمل ٢١

## م

المازرى فى العزيمة والعمل ٢٤

- التفنى في العقوبة والعفو ٦٠ في الغفل المتنعم ١٠  
 المجتمع وعلاقة الفرد به ٩٤  
 المجنون والمسئولية ٦٤ ، ٦٥ ، ٩٩  
 « المختار » في تعريف العقوبة ٣١  
 مراجع الكتاب ١٢١ - ١٢٢  
 المسئولية ٩٤ الخ ٩٩  
 المسيحية ، في المواخذة على النية ١٤ في العفو ٤٤  
 « المصباح » في تعريف العقوبة ٣١  
 مصر والردائل المرخص بها رسمياً ١٦ وعقوبة الاعدام ٥٣  
 معلومة في العقوبة ٦٠  
 المقاييس الاخلاقية ١٤  
 مكبث ( انظر شكسبير )  
 مكتزى ، في أقسام المجرمين وعلاجهم ٧١ في النضب ٦٥ في  
 النية ١٤  
 ملتن في مخاصمة الفرد للمجتمع ٨ ، ٩  
 مورهد في المزايم التي يعمل عنها ٢٠ ، ٢١  
 المويطى - السيد محمد - في التهم ٦٣  
 « مين » - ولاية - في عقوبة الاعدام ٥٣  
 ن  
 النعم ٥٩ ، ٧١ - ٧٣

النرويج وعقوبة الاعدام ٥٠

النسيان والمسئولية ٦٥

« نظام الشرف » في سجون الولايات المتحدة ٦٩

النمسا وعقوبة الاعدام ٥٠

النرويج في المواخذة بانية ٢٥

النيابة العامة والتبليغ عن الجناية ٤٦



هولاند وعقوبة الاعدام ٥٠

هوميروس والتهكم ٦٣

هيكل في السلطة الاخلاقية ٣٦ ، ٨٨ في العقوبة ٩٨ — ٩٩



الواجبات الاجتماعية ٨ — ٩

وردسورث ، دطاعه عن عقوبة الاعدام ٥٤

الولايات المتحدة ، وعقوبة الاعدام ٥٢ ونظام السجون ٦٨ — ٧٠

اليابان وعقوبة الاعدام ٥٣



اليهود ، أخلاقهم ( رأى ابن خلدون فيها ) ٩٦ ، رأيهم في أنفسهم

١٢٠ ، والتفاصيل ٤٤

## من المؤلف الى الناشر

صبري وأثابته وخبايا وعينه بركات على الصلوات التي  
أحسنَت الأعلام عن نفسي في طابع هذا الكتاب على استاذ  
حب الربيع الطيب، لقد طمعت في صبري وإرادتي صبرا  
ورغبت في دقة الطبع شبرا، فلهذا قد كان من مؤلفك  
قبل أن يكون ناشره، كان جديرا بغير الخطأ، وهو يريد أن  
يمنح الاعتراف له بذلك واستقلالاً لفصله وهو الطبع، واحتقاراً  
لصنيعه وهو الجليل

محمد عبد الله

## الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
انلق	الطلق	١٢	١٢
مميز	يوني	٣٥	٢٠
عقوبة الاعدام	العقوب الاسلام	٧٥	رأس الصفحة
فلسفة	فلسفة	٧٠	٥
Punishment	Punishment	٢٢	١٥
الكذا	الكذا	١٣٦	١٤







